

**ملاح من قصة إبراهيم عليه السلام**  
**في سورتي البقرة وإبراهيم**  
(دراسة موضوعية)

**د. دخيل بن عبد الله الدخيل**  
الأستاذ المساعد بقسم القرآن الكريم وعلومه  
كلية أصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



## ملخص بحث

### ملاح من قصة إبراهيم عليه السلام في سورتي البقرة وإبراهيم دراسة موضوعية

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أرسله الله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فهدى به من الضلالة، وأرشد به من الغي، وبصر به من العمى، ﷺ تسليماً كثيراً، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.  
أما بعد:

فهذا ملخص للبحث الموسوم بـ "ملاح من قصة إبراهيم عليه السلام في سورتي البقرة وإبراهيم". دراسة موضوعية.

تناولت فيه جانباً من جوانب القصص القرآني، حيث كان من أكثر القصص تكراراً في القرآن الكريم قصة إبراهيم عليه السلام، وأشد ما جاء في هذه القصة من النصوص تقارباً ما ذكر في سورة البقرة وسورة إبراهيم، وهو ما سلط الضوء عليه في هذا البحث، ورددت على من قال: إنَّ في القرآن الكريم تكراراً قصصياً لا فائدة منه؛ أو أن يكون مستمداً من الخيال؛ وحاشا أن يكون فيه ذلك، وهو معيب في كلام الفصحاء والبلغاء، فكيف

بكلام الله ﷻ الذي أعجز أهل الفصاحة والبلاغة أن يأتوا بمثله ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ النساء: ٨٧، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ النساء: ١٢٢، وقد تناولت- أيضاً- جوانب عدة من حياة إبراهيم ﷺ؛ ولا غرو فهو أبو الأنبياء، اتخذه الله خليلاً، كان أمة قانتاً، حنيفاً مسلماً، تسابقت الأمم السابقة إلى الانتساب إليه؛ فرد الله ذلك؛ بقوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِإِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ آل عمران: ٦٧، وكان البحث قد قسم على النحو التالي:

خطة البحث: يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة.

المقدمة: وفيها سبب الاختيار، والمنهج الذي سرت عليه، وخطة البحث.

التمهيد: وفيه تعريف القصة، والفرق بين القصص القرآني وغيره، وأنواع

القصص في القرآن الكريم، وأسرار تكرار القصص في القرآن الكريم.

المبحث الأول: جوانب الحديث عن إبراهيم ﷺ في القصة القرآنية.

المبحث الثاني: علاقة قصة إبراهيم ﷺ بمقصود سورتي البقرة وإبراهيم.

المبحث الثالث: أغراض قصة إبراهيم ﷺ في سورتي البقرة وإبراهيم.

المبحث الرابع: أوجه الاتفاق الموضوعية والأسلوبية في سورتي

البقرة وإبراهيم.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين.

## Features of Ibrahim's Story (peace be upon him) in the Qur'an Chapters of Al-Baqrah and Ibrahim

Prepared by:

Dakheel A. Al-Dakheel, PhD

Assistance professor, Department of Qur'anic  
Sciences

Faculty of Islamic Theology

Imam Muhammad Bin Saud Islamic university

### Abstract

This paper investigates one of the most well-chronicled, and well-documented stories in the Qur'an; the story of Ibrahim (peace be upon him), particularly in the Chapters (*Suras*) of Al-Baqrah and Ibrahim due to the extensive similarity between their verses.

One of my objectives in this study is to rebut those who claim that A) there is a meaningless redundancy in the stories of the Holy Qur'an, and B) these stories are merely a figment of imagination (Allah forbid). This is an outrageous allegation if it was directed at the words of a poet and an eloquent orator, and it is even more so when it is directed at Allah's holy words that render all people speechless, as they can never create something to match His words. Allah Almighty said: {Allah - there is no deity except Him. He will surely assemble you for [account on] the Day of Resurrection, about which there is no doubt. And who is more truthful than Allah in statement.} (the chapter of Al-Nisaa-87). He also said {But the ones who believe and do righteous deeds - We will admit them to gardens beneath which rivers flow, wherein they will abide forever. [It is] the promise of Allah, [which is] truth, and who is more truthful than Allah in statement.} (the chapter of Al-Nisaa-122).

Moreover, there is a discussion of some aspects of prophet Ibrahim's life, and no wonder, as he is the grandfather of all prophets.

Allah chose him, and he was an obedient, allegiant and upright Muslim. All earlier nations claimed having a kinship to him, but Allah has rejected these claims by replying: {Abraham was neither a Jew nor a Christian, but he was one inclining toward truth, a Muslim [submitting to Allah]. And he was not of the polytheists.} (the chapter of Al-i-'Imran-67.)

The research is divided as follows: a preface, an introduction, four chapters, and a conclusion.

- 1- Preamble: it explains the reason for choosing this topic, the approach that I adopted, and the research plan.
- 2- Introduction: it includes the main story, the difference between Qur'anic and other kinds of stories, the types of Qur'anic stories, and the secrets of repeating Qur'anic stories.
- 3- The first section: the aspects of Ibrahim's life that is covered in the Qur'anic story.
- 4- The second section: The connection between Ibrahim's story and the purposes of the Chapters of Al-Baqarah and Ibrahim.
- 5- The third section: The purposes of Ibrahim's story in the Chapters of Al-Baqarah and Ibrahim.
- 6- The fourth section: The similarities in content and style in the Chapters of Al-Baqarah and Ibrahim.
- 7- Conclusion: it lists the paper's important findings and recommendations.

## المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وهدانا بالقرآن، قص علينا فيه أحسن القصص، إعجازاً، وترغيباً، وترهيباً، واقتداءً وأسوة، موعظة وتسلية، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن استن بسنته واقتفى أثره إلى يوم الدين. أما بعد:

فَيُظَنُّ من قل نظره وعلمه، أن في القرآن الكريم تكراراً قصصياً لا فائدة منه؛ وحاشا أن يكون فيه ذلك، وهو معيب في كلام الفصحاء والبلغاء، فكيف بكلام الله ﷻ الذي أعجز أهل الفصاحة والبلاغة أن يأتوا بمثله ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ النساء: ٨٧، ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ النساء: ١٢٢، ومن أكثر القصص تكراراً في القرآن الكريم قصة إبراهيم عليه السلام، فقد تناولت جوانب عدة من حياته؛ ولا غرو فهو أبو الأنبياء، اتخذه الله خليلاً، كان أمة قانتاً، حنيفاً مسلماً، تسابقت الأمم السابقة إلى الانتساب إليه؛ فرد الله ذلك؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ آل عمران: ٦٧، وقال نبينا ﷺ: (وَأَنَا أَشْبَهُ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِ) <sup>(١)</sup>. وقال ﷺ:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: الأنبياء، باب: وكلم الله موسى تكليماً، ٨/ ٤٨٠، ح ٣٣٩٤، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: الإسراء بالرسول ﷺ، ١٠٦/١، ح ٤٤٢

(نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَئِمُ تُؤْمِنُ قَال بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ البقرة: ٢٦٠<sup>(١)</sup>. ومن النصوص الأكثر تقارباً ما جاء في سورة البقرة وسورة إبراهيم، وهو ما سأسلط الضوء عليه في هذا البحث من بيان النكت والفروق والفوائد المستقاة من كل نص بإذن الله تعالى.

### المنهج الذي سرت عليه:

١. يُتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل؛ دراسة موضوعية في قصة إبراهيم عليه السلام في سورتي البقرة وإبراهيم؛ موضعاً مواضع الاتفاق والاختلاف الموضوعية والأسلوبية في كلا الموضعين.
٢. تحديد الآيات موضع الدراسة .
٣. بيان مواضع الاتفاق والاختلاف الموضوعية والأسلوبية في كل موضع.
٤. تعليل اختصاص الموضوع بما ورد فيه، وعلاقته بمقصود السورة.
٥. بيان علاقة ما ورد من الاتفاق في السورتين - في القصة - وصلته بمقصود السورتين.
٦. الحديث إن كان في الصحيحين أو في أحدهما فإني أكتفي به.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: الأنبياء، باب: قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾، ٨ / ٤٤٥، ح ٣٣٧٢، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: زيادة طمأنينة القلب، ١ / ٩٢، ٣٩٩



## خطة البحث:

- يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة.
- المقدمة: وفيها سبب الاختيار، والمنهج الذي سرت عليه، وخطة البحث.
- التمهيد: وفيه تعريف القصة، والفرق بين القصص القرآني وغيره، وأنواع القصص في القرآن الكريم، وأسرار تكرار القصص في القرآن الكريم.
- المبحث الأول: جوانب الحديث عن إبراهيم عليه السلام في القصة القرآنية.
- المبحث الثاني: علاقة قصة إبراهيم عليه السلام بمقصود سورتي البقرة وإبراهيم.
- المبحث الثالث: أغراض قصة إبراهيم عليه السلام في سورتي البقرة وإبراهيم.
- المبحث الرابع: أوجه الاتفاق الموضوعية والأسلوبية في سورتي البقرة وإبراهيم.
- الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.
- وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## التمهيد

تعريف القصة لغة واصطلاحاً:

المعنى اللغوي:

قَصَّ أثره قصاً وقصصاً: تَبَعَهُ. وَقَصَّ الخبر: أَعْلَمَهُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَارْتَدَاعَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ الكهف: ٦٤، أي: رَجَعَا مِنَ الطَّرِيقِ الَّذِي سَلَكَاهُ يُقِصِّانُ الأثر. وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ يوسف: ٣: نبين لك أحسن البيان. والقاصُّ: من يأتي بالقصة<sup>(١)</sup>، والقَصَصُ: جمع قِصَّة، وهي الأمر والشأن، والذي يُكْتَب، والقَصَصُ: الأخبار المتتبعَة، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ آل عمران: ٦٢<sup>(٢)</sup>. والقِصَّة: الجملة من الكلام.

والقصة: حكاية نثرية طويلة تُستمدُّ من الخيال أو الواقع أو منهما معاً، وتبنى على قواعد معيَّنة من الفن الكتابي. والجمع: قِصَصٌ. "محدثة". والأقْصُوصَة: القِصَّة الصغيرة، وجمعها: أقاصيص. والقاصُّ: الذي يروي القصة على وجهها. أو الذي يصنع القصة<sup>(٣)</sup>.

المعنى الاصطلاحي:

القصة هي: "حكاية أدبية تدرك لتقص، قصيرة نسبياً، ذات خطة

(١) القاموس المحيط، للفيروز آبادي: مادة (قَصَّ): ٨٠٩

(٢) بصائر ذوي التمييز، للفيروز آبادي: ٢٧١ / ٤

(٣) المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس ورفاقه: مادة (قَصَت): ٧٣٩

بسيطة وحدث محوري يدور حول جانب من الحياة لا في واقعها العادي والمنطقي؛ وإنما طبقاً لنظرية رمزية لا تنمي أحداثاً وبيئات وشخصاً؛ وإنما توجز في لحظة واحدة حدثاً ذا معنى كبير" (١).

القصص القرآني: إخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة (٢).

### الفرق بين القصص القرآني والقصص الأدبي

من التعريف "اللغوي" - السابق - للقصص نجد أن منها ما يستمد من الخيال (٣)، ومنها ما يستمد من الواقع، ومنها ما يستمد منها معاً، والقصص القرآني هو كلام الله، منزه عن ذلك التصوير الفني الذي لا يعني فيه بالواقع التاريخي؛ بل حقائق ووقائع وأحداث في سرد تاريخي ثابت لا مرية فيه، تصاغ في صور بديعة من الألفاظ المنتقاة، والأساليب الرائعة؛ فلا مجال للخيال في التصوير والرمزية، مع ما تتحلى به القصة القرآنية من الخصائص الفنية وجمال الذوق والأسلوب في السرد. وهو ما نص الله عليه

(١) وهي محاولة من الدكتور الطاهر أحمد مكي أن يلخص تعريفاً شاملاً للقصص من عدة

تعريفات، القصة القصيرة، الطاهر أحمد مكي: ٦٧

(٢) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان: ٣١٧

(٣) قدمت في مصر رسالة لنيل درجة "الدكتوراه" سنة ١٣٦٧ هـ، بعنوان "الفن القصصي- في

القرآن" للباحث "محمد أحمد خلف الله" أثارت جدلاً طويلاً، وكتب عنها أحد أعضاء

اللجنة وهو الأستاذ "أحمد أمين" تقريراً بين أن أسسها أن القصص في القرآن عمل فني

خاضع لما يخضع له الفن من خلق وابتكار من غير التزام لصدق التاريخ، والواقع أن

محمداً فنان بهذا المعنى. انظر مباحث في علوم القرآن لمناع: ٣٠٨

بقوله تعالى ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ آل عمران: ٦٢، وقوله تعالى ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ الكهف: ١٣، وقوله تعالى ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾ القصص: ٣، وقوله تعالى: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ الأعراف: ٧، وقد وصفه بالحسن فقال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ يوسف: ٣

فالفارق - بين القصص القرآني وقصص الشعوب واللغات الأخرى من الأساطير والروايات والمسرحيات - شاسع في جميع المجالات والمقاصد والأعراض؛ ويتضح أن الغاية أن يكون ذلك القصص نفسه هادياً للمؤمنين إلى الطريق الصحيح والصرراط المستقيم؛ فالله تعالى يقول ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ يوسف: ٣<sup>(١)</sup>.

### أنواع القصص في القرآن

للقصص في القرآن ثلاثة أنواع:

النوع الأول: قصص الأنبياء، وقد تضمن دعوتهم إلى قومهم، والمعجزات التي أيدهم الله بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها وعاقبة المؤمنين والمكذابين.

(١) قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح، أحمد موسى: ٢١٢

النوع الثاني: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة، وأشخاص لم تثبت نبوتهم، كطالوت وجالوت وذي القرنين، وقارون، وغير ذلك

النوع الثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله ﷺ؛ كغزوة بدر وأحد وحنين، ونحو ذلك<sup>(١)</sup>.

### أسرار تكرار قصص القرآن وبيان الحكمة فيها:

يرد القصص القرآني في مواضع ومناسبات، ويحسب أناس أن هنالك تكراراً في القصة؛ لأن القصة الواحدة قد يتكرر عرضها في سور شتى؛ ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة قد تكررت في صورة واحدة؛ ولذا استخراج العلماء فوائداً وحكماً؛ منها:

• أن في كل موضع زيادة شيء لم يذكر في الذي قبله، أو إبدال كلمة بأخرى لنكتة؛ وهذه عادة البلغاء<sup>(٢)</sup>.

• أن الرجل كان يسمع القصة من القرآن، ثم يعود إلى أهله ثم يهاجر بعده آخرون يحكون عنه ما نزل بعد صدور من تقدمهم؛ فلولا تكرار القصص لوقعت قصة "موسى" إلى قوم آخرين؛ وكذا سائر القصص، فأراد الله اشتراك الجميع فيها، فيكون فيه إفادة لقوم

(١) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان: ٣٠٦

(٢) مثل قوله تعالى ﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ طه: ٢٠، فذكر هنا "حية" وفي قوله تعالى ﴿ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ الأعراف: ١٠٧ وعبر هنا بأنها "ثعبان".

وزيادة تأكيد لآخرين<sup>(١)</sup>.

• أن في إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة ما لا يخفى من الفصاحة.

• أن الدواعي لا تتوفر على نقلها كتوفرها على نقل الأحكام؛ فلهذا كررت القصص دون الأحكام.

• أن الله تعالى أنزل هذا القرآن، وعجز القوم عن الإتيان بمثله، بأي نظم جاءوا، ثم أوضح الأمر في عجزهم؛ بأن كرر ذكر القصة في مواضع؛ إعلماً بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله، أي بأي نظم جاءوا، وبأي عبارة عبروا<sup>(٢)</sup>.

• أنه لما تحداهم قال: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ البقرة: ٢٣، فلو ذكرت القصص في موضع واحد واكتفى بها لقال العربي: إيتونا أنتم بسورة من مثله؛ فأنزلها ﷻ في تعداد السور دفعاً لحجتهم من كل وجه.

• أن القصة الواحدة لو كررت كان في ألفاظها في كل موضع زيادة ونقصان وتقديم وتأخير، وأتت على أسلوب غير أسلوب الأخرى؛ فأفاد ذلك ظهور الأمر العجيب في إخراج المعنى الواحد في صور متباينة في النظم، وجذب النفوس إلى سماعها لما جبلت

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية، مكّي بن أبي طالب: ٤/ ٢٤٦٠، البرهان في علوم القرآن،

الزركشي: ٣/ ٢٦، الإتيان في علوم القرآن، السيوطي: ٣/ ٢٠٤

(٢) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي: ٣/ ٢٠٤-٢٠٥، قال ابن فارس: وهذا هو

الصحيح. فقه اللغة: ١٧٨

عليه من حب التنقل في الأشياء المتجددة واستلذاذها بها، وإظهار خاصة القرآن حيث لم يحصل مع تكرار ذلك فيه هجنة<sup>(١)</sup> في اللفظ، ولا ملل عند سماعه؛ فباين ذلك كلام المخلوقين<sup>(٢)</sup>.

● أن الله تعالى ذكر كل قصة في سورة من سور القرآن لغير المعنى الذي ذكر حاله في السورة الأخرى؛ فإن القصة الواحدة تشير إلى معان متعددة؛ فيكون في بعض السور مساق الكلام: صبر النبي ﷺ على إيذاء الكفار، والتسلية له بذكر قصص الأنبياء عليهم السلام، وأنهم صبروا وأوذوا أذى عظيماً، فتساق القصص على هذا المعنى، وفي بعض السور يكون مساق الكلام: الإخبار عن إهلاك المعاندين والظالمين، وأن عاقبة أمرهم الهلاك في الدنيا والخزي في الآخرة؛ فتساق القصص على هذا المعنى. وفي بعض السور يكون مساق الكلام الإخبار عن التوحيد، وتبليغ الرسالة، وإرشاد الخلق إلى الله تعالى فتقص القصص على هذا المساق؛ للإشارة إلى أنهم على وتيرة واحدة، ومنهج واحد داعون إلى توحيد الله تعالى وإرشاد الخلق إلى الله تعالى.

● أن القرآن مشتمل على جملة كتب الله المنزلة على الأنبياء عليهم

(١) الهجنة في اللفظ: العيب والقبح فيه. لسان العرب، ابن منظور: مادة "هجن"

: ٤٢١ / ١٣، القاموس المحيط، الفيروز آبادي "هجن": ٤ / ٢٧٩

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي: ٣ / ٢٥، الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: ٣ / ٣٠٥

السلام؛ كما دلّ على ذلك جملة من الأحاديث<sup>(١)</sup>، فعلم أنّ القرآن اشتمل على التوراة والزبور والإنجيل. ولا شك أنّ التوراة والإنجيل فيها أخبار الأنبياء وقصصهم؛ فيجب في السور التي هي مكان التوراة أن يذكر فيها قصص الأنبياء الذين ذكروا في التوراة، والسورة التي مكان الإنجيل قصص الأنبياء الذين ذكروا في الإنجيل، لم يكن التكرار حينئذ تكراراً؛ بل هو تلخيص لما في التوراة والإنجيل والزبور، وزيادة خصّ الله سبحانه وتعالى النبي ﷺ بها وهي المفصل<sup>(٢)</sup>.

### الحكمة في عدم تكرار قصة يوسف في القرآن:

إنّ من المعروف عن سمات القصص القرآني ظاهرة التكرار؛ وهو أن تتكرر القصة في أكثر من موضع من القرآن، كما في قصة موسى ﷺ، وقصة نوح ﷺ وغيرهم من الأنبياء؛ ولكن نجد أنّ قصة يوسف ﷺ لم تتكرر في أي موضع من القرآن؛ فقد جاءت في موضع واحد، والسؤال هنا: ما الحكمة في عدم تكرار قصة يوسف ﷺ، وسوقها مساقاً واحداً في

(١) منها: ما جاء عن واثلة بن الأسقع أن النبي ﷺ قال: (أعطيت مكان التوراة السبع، وأعطيت مكان الزبور المثين، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفضلت بالمفصل).  
أخرجه أحمد في مسنده: ١٠٧/٤، والطحاوي في شرح مشكل الآثار: ١٣٧٩، والطبراني في المعجم الكبير: ١٨٦/٢٢، والبيهقي في دلائل النبوة: ٤٧٥/٥. وحسن إسناده شعيب الأرنؤوط في تحقيق المسند: ١٨٨/٢٨

(٢) الزيادة والإحسان في علوم القرآن، ابن عقيلة المكي: ٣٧١-٣٧٣



موضع واحد دون غيرها من القصص؟، والحكمة في عدم تكرارها كما يراها بعض علمائنا الأجلاء تتجلى فيما يلي: فيها من تشبيب النسوة بيوسف عليه السلام، وتضمنها أخباراً عن حال امرأة ونسوة افتتن بأروع الناس جمالاً، وأرفعهم منالاً؛ فناسب عدم تكرار ما فيها من الإغضاء والستر عن ذلك؛ ولأنها اختصت بحصول الفرج بعد الشدة، بخلاف غيرها من القصص؛ فإنَّ مآلها إلى الوبال كقصة نوح وهود وقوم صالح عليهم السلام وغيرهم؛ فلما اختصت بذلك اتفقت الدواعي على نقلها لخروجها عن سمات القصص.

وفي عدم تكرارها إشارة إلى عجز العرب؛ كأن النبي ﷺ قال لهم: إن كان من تلقاء نفسي تصديره على الفصاحة فافعلوا في قصة يوسف ما فعلت في قصص سائر الأنبياء<sup>(١)</sup>، وثمة أمر آخر وهو أن سورة يوسف نزلت بسبب طلب الصحابة أن يقص عليهم، فقد روى عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: " أنزل القرآن فتلاه رسول الله ﷺ على أصحابه زماناً، فقالوا - أي المسلمون بمكة - يا رسول الله لو قصصت علينا، فأنزل الله ﷻ الرَّئِيفَ الْكَتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنَّ الْعَاقِلِينَ ﴿٣﴾ يوسف: ١ - ٣"<sup>(٢)</sup>. فنزلت مبسوطه تامة؛ ليحصل لهم

(١) صفوة التفاسير، محمد الصابوني: ٥٢

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ٨/ ٢٨٩ (١١٣٢٣) والبزار في مسنده " البحر الزخار ٣: ٣١١ (١١٥٢) و (١١٥٣) وأبو يعلى في مسنده: ٨٧/ ٢ (٧٤٠) وابن حبان في

مقصود القصص من استيعاب القصة وترويح النفوس بها، والإحاطة بطرفيها؛ استخلاصاً لعبورها ودلالاتها.

ومن أوجه ما يجاب به أن قصص الأنبياء عليهم السلام إنما تكررت؛ لأن المقصود بها إفادة إهلاك من كذبوا رسلهم وأذوهم؛ والمواقف التي يعيشها النبي ﷺ تستدعي ذلك التكرير؛ ذلك لتكرير تكذيب الكفار لرسول الله ﷺ، فكلما كذبوا أنزلت قصة منكرة بحلول العذاب كما حل على المكذبين؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُعَفَّرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتِ الْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٨]، وقال أيضاً: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ يُمْكِنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ [الأنعام: ٦]، وقصة يوسف لم يقصد منها ذلك<sup>(١)</sup>.

صحيحه: ٩٢/١٤ (١٧٤٦) والحاكم في المستدرک ٣٤٥/٢، وابن جرير في "تفسيره" (٩٠/١٢) وصححه الحاكم: ٣٤٥/٢، ووافقه الذهبي، وحسنه الضياء في المختار: ٣٦/٢، وقال ابن حجر في "المطالب العالية" ٣/٣٤٣: "حديث حسن"، وكذا ابن تيمية في "مجموع الفتاوى" ٥/٥٥، وكذلك صححه مقبل الوداعي في "الصحيح المسند من أسباب النزول" ٨٨.

(١) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي: ٢/١٨٥، الزيادة والإحسان في علوم القرآن، ابن عقيلة المكي: ٦/٣٧٤

## المبحث الأول

### جوانب الحديث عن إبراهيم عليه السلام في القصة القرآنية

لم يكن ذكر إبراهيم عليه السلام في كتاب الله تعالى كذكر الأنبياء السابقين؛ بل إنَّ شيخ الحنفاء ذكر في كتاب الله عز وجل من جوانب متعددة؛ ولا عجب فمآثره كثيرة، ومناقبه أجلُّ من أن تعدَّ، ولا عجب أن تردَّ الإشارات مبكرة حديثاً عن أبي الأنبياء؛ فهذه إشارات نجدها في سورة الأعلى وفي سورة النجم، وفي سورة "ص" ففي سورة الأعلى ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ۝١٨ ۝١٩ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝٢٠ ۝٢١ ۝٢٢ ۝٢٣ ۝٢٤ ۝٢٥ ۝٢٦ ۝٢٧ ۝٢٨ ۝٢٩ ۝٣٠ ۝٣١ ۝٣٢ ۝٣٣ ۝٣٤ ۝٣٥ ۝٣٦ ۝٣٧ ۝٣٨ ۝٣٩ ۝٤٠ ۝٤١ ۝٤٢ ۝٤٣ ۝٤٤ ۝٤٥ ۝٤٦ ۝٤٧ ۝٤٨ ۝٤٩ ۝٥٠ ۝٥١ ۝٥٢ ۝٥٣ ۝٥٤ ۝٥٥ ۝٥٦ ۝٥٧ ۝٥٨ ۝٥٩ ۝٦٠ ۝٦١ ۝٦٢ ۝٦٣ ۝٦٤ ۝٦٥ ۝٦٦ ۝٦٧ ۝٦٨ ۝٦٩ ۝٧٠ ۝٧١ ۝٧٢ ۝٧٣ ۝٧٤ ۝٧٥ ۝٧٦ ۝٧٧ ۝٧٨ ۝٧٩ ۝٨٠ ۝٨١ ۝٨٢ ۝٨٣ ۝٨٤ ۝٨٥ ۝٨٦ ۝٨٧ ۝٨٨ ۝٨٩ ۝٩٠ ۝٩١ ۝٩٢ ۝٩٣ ۝٩٤ ۝٩٥ ۝٩٦ ۝٩٧ ۝٩٨ ۝٩٩ ۝١٠٠ ﴾ ولكن سورة النجم تزيد على ذلك ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ۝٣٧ ﴾ النجم: ٣٦ - ٣٧ ، ثم تأتي سورة "ص" وهي التي تحدثت لنا عن بعض الأنبياء عليهم السلام فنجد فيها إشارات لإبراهيم وبنيه: ﴿ وَأَذْكُرُ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ ۝٤٦ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۝٤٧ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ۝٤٨ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ۝٤٩ وَإِيَّاهُمْ عِنْدَنَا لَمَنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ۝٥٠ وَأَذْكُرُ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ ۝٥١ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ۝٥٢ ﴾ ص: ٤٥ - ٤٨ ، وبعد هذه الإشارات جاء الحديث عن بعض جوانب من حياته عليه الصلاة والسلام :

أول سورة حدثنا عن إبراهيم عليه السلام هي سورة مريم، وهي مكية عند الجمهور<sup>(١)</sup>، وهي سورة نزلت مبكرة، يحدثنا ربنا عز وجل عن زكريا ويحيى ومريم وعيسى ثم ينتقل الحديث عن إبراهيم وبنيه وبعض الأنبياء عليهم

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ١٦ / ٥. بتصرف



تعلمه أنت ولا اطلعت عليه، ولا جاءك بعد؛ لذلك أرجو منك اتباعي حتى أدلك على الطريق المستقيم الموصل إلى نيل المطلوب والنجاة من المهوب<sup>(١)</sup>. وثالثها: نهيه عن عبادة الشيطان، وفي الكلام تشييط لأبيه عما هو عليه من الشرك؛ لأنه مع خلو ما يعبد من النفع واستلزامه للضر؛ فإنه في الحقيقة عبادة للشيطان<sup>(٢)</sup>. ورابعها: الخوف أن يمس أباه عذاب من الرحمن. وهذه هي العاقبة السيئة، إنها عذاب من الله الرحمن، وإظهار كلمة الرحمن هنا للإشعار بأن وصف الرحمانية لا يدفع حلول العذاب<sup>(٣)</sup>. خامساً: إكرام الله لنبيه إبراهيم عليه السلام، لما اعتزل إبراهيم قومه وما كانوا يعبدون من دون الله؛ أكرمه الله حيث وهب له أبناء أنبياء، وأسبل عليهم نعمه ظاهرة وباطنة.

ولم يورد الله ﷻ ذكر إسماعيل هنا، لعدة وجوه:

الأول: لأن إبراهيم لما اعتزل قومه خرج بزوجه سارة، وهي قد اعتزلت قومها أيضاً إرضاء لربها ولزوجها، فذكر الله الموهبة الشاملة لإبراهيم وزوجه؛ لأن هذه الموهبة لما كانت كفاء لإبراهيم على مفارقتة أباه وقومه كانت موهبة من يعاشر إبراهيم ويؤنسه وهما إسحاق ويعقوب، وقد كان

(١) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن كثير: ١٢٣/٣

(٢) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن كثير: ١٢٣/٣، تفسير البيضاوي، عبد الله بن

عمر: ٨/٤

(٣) إرشاد العقل السليم، محمد أبو السعود: ٢٦٧/٥

إسماعيل عليه السلام بعيداً عنه<sup>(١)</sup>.

ثانياً: لبيان أنه جعل له نسلًا وعقباً أنبياء أقر الله بهم عينه في حياته

ولهذا قال ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ مريم: ٤٩<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: لعله أراد أن يذكر إسماعيل بفضله على الانفراد<sup>(٣)</sup>.

رابعاً: لأنها خصصا بالذكر؛ لأنهما شجرتا أنبياء بني إسرائيل، والقصد هنا ذكر أنبياء بني إسرائيل وهم بأسرهم أولاد إسحاق ويعقوب، وإسماعيل لم يخرج من صلبه إلا محمداً عليه السلام<sup>(٤)</sup>.

وفي سورة الشعراء: قوله تعالى ﴿وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ إِبْرَاهِيمَ﴾ ٦٩ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظُرُهَا عَيْنَيْنِ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَامُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خِطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنَ بِالصَّلَاحِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَأَغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ١٢٤ / ١٦

(٢) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن كثير: ١٢٤ / ٣

(٣) تفسير البيضاوي، عبد الله بن عمر: ٩ / ٤

(٤) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، زكريا الأنصاري: ١٧٠

سَلِيمُ ﴿ الشعراء: ٦٩ - ٨٩

يحكي الله تعالى ما دار بينه وبين قومه من مناقشات وما توجه به إلى خالقه من دعوات.

عقبت قصة موسى مع فرعون وقومه بقصة إبراهيم، وقدمت هنا على قصة نوح على خلاف المعتاد في ترتيب قصصهم في القرآن لشدة الشبه بين قوم إبراهيم وبين مشركي العرب في عبادة الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر، وفي تمسكهم بضلال آبائهم، وأن إبراهيم دعاهم إلى الاستدلال على انحطاط الأصنام عن مرتبة استحقاق العبادة؛ ليكون إيمان الناس مستنداً لدليل الفطرة، وفي أن قوم إبراهيم لم يسلط عليهم من عذاب الدنيا مثل ما سلط على قوم نوح وعلى عاد وثمود وقوم لوط وأهل مدين فأشبهوا قريشاً في إمهالهم. فرسالة محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام قائمتان على دعامة الفطرة في العقل والعمل، أي في الاعتقاد والتشريع<sup>(١)</sup>.

أُعطي إبراهيم عليه السلام الحجة القوية الدامغة التي يرد بها على أباطيل قومه، "وما أحسن ما رتب إبراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين حين سأهم أولاً عما يعبدون، سؤال مقرر لا مستفهم، ثم أنحى على آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع على تقليدهم آباءهم الأقدمين فكسره وأخرجه من أن يكون شبهة فضلاً أن يكون حجة، ثم صَوَّر المسألة في نفسه دونهم حتى تخلص منها إلى ذكر الله تعالى؛ فعظم شأنه

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ١٩/١٤٨

وعدّد نعمته من لدن خلقه وإنشائه إلى حين وفاته، مع ما يرجى في الآخرة من رحمته، ثم أتبع ذلك أن دعاه بدعوات المخلصين، وابتهل إليه ابتهاال الأوابين، ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه، وما يدفع إليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال، وتمنى الكرّة إلى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا"<sup>(١)</sup>.

وقوله: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ الشعراء: ٦٩، هو معنى قوله ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ مريم: ٤١، وزاد في الشعراء أن هذا الذي قاله لأبيه من النهي عن عبادة الأوثان قاله أيضاً لسائر قومه<sup>(٢)</sup>. وفي هذا المقدر تذكير للرسول ﷺ بما يسليه عما يلقاه من قومه<sup>(٣)</sup>.

وفي سورة هود، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلْنَا إِبْرَاهِيمَ بِالبُّشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تُصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَوْنُلِقَى ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَنْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ

(١) الكشاف، الزمخشري ٣/٣٢١، تفسير السراج المنير، الشرييني: ٣/٤١-٤٢، إعراب

القرآن وبيانه، محيي الدين درويش: ٧/٩٢

(٢) أضواء البيان، محمد الشنقيطي: ٣/٤٢٣

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ١٩/١١٨، التفسير المنير، وهبة

الزحيلي: ١٩/١٦٦



وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَىٰ يُجَدِّلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ  
 أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ مَرَدُّوهُ ﴿هُود: ٦٩ -  
 ٧٦﴾ ، تُحدِثنا عما كان بينه وبين قومه، وفي الآيات السابقة كان ذلك في البلد  
 الذي نشأ فيه قبل أن يهاجر؛ كما أشارت إليه آيات سورة مريم قال تعالى:  
 ﴿وَأَعْرَضْنَاكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي  
 شَقِيحًا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا أَعْرَضَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا  
 نَبِيًّا ﴿مريم: ٤٨ - ٤٩﴾ ، "لم يبيّن هنا ما المراد بهذه البشري التي جاءت بها  
 رسل الملائكة إبراهيم"<sup>(١)</sup>؛ "فقيل: هي مطلق البشري المنتظمة للبشارة  
 بالولد من سارة وللبشارة بعدم لحوق الضرر به لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ  
 إِبْرَاهِيمَ الرُّوحُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَىٰ ﴿هُود: ٧٤﴾، وقيل: هي البشارة بهلاك قوم لوط  
 ويأباه مجادلته عليه عليه السلام في شأنهم. والأظهر أنها البشارة بالولد"<sup>(٢)</sup>، وكذا  
 الحديث عن طيب الخلال، وشريف الخصال التي يتحلّى بها إبراهيم عليه السلام،  
 وما أكرمه الله به، قال تعالى: ﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ﴿هُود: ٦٩﴾، فكانت  
 تحيته أبلغ؛ لأنها جاءت جملة اسمية وليست فعلية، والفرق بين الجملتين:  
 أن الفعلية تدل على الحدوث، بينما الاسمية تدل على الثبوت والدوام،  
 فسلام الملائكة لإبراهيم سلام حادث متجدد، ورُدُّ إبراهيم عليهم جاء  
 بالثبوت والدوام والاستمرار فكانت تحيته أبلغ"<sup>(٣)</sup>، ثم بادر لإكرامهم فجاء

(١) أضواء البيان، محمد الشنقيطي: ١٨٥ / ٢

(٢) إرشاد العقل السليم، محمد أبو السعود: ٢٢٤ / ٤

(٣) البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي: ٢٤١ / ٥ بتصرف

بعجل ﴿حَنِيدٍ﴾ هود: ٦٩ مشوي، وفي آية الذاريات بَيَّنَّ اللهُ أَنَّهُ عَجَل ﴿سَمِينٍ﴾ الذاريات: ٢٦، وبهذا فإنه قد أتاهم بخير ما عنده وفي أسرع وقت، مما يدل على عدم التكرار؛ وإنما زيادة وصف للعجل، وكذا تقريبه الطعام لهم، ولم يضعه وقال: اقتربوا، وفيه أن للمضيف أن ينظر نظرة لطيفة غير محددة النظر إلى ضيفه، هل يأكل أم لا؟  
فهذه الأمور لتدل بوضوح على ما تحلى به الخليل عليه السلام من غاية الإكرام، وفيه لنا خير قدوة<sup>(١)</sup>.

ومما ذكر من صفات خيرة بعد ما بشر بإسحق ويعقوب، وأما موقف سارة تجاه البشارة فقد حكاها الله في سورة هود والذاريات، وهو التعجب: كيف ألد وأنا عجوز؟! وقد كنت في حال الصبا والشباب لا أحبل<sup>(٢)</sup>، وزيد هنا قولها "يا ويلتي" مع بيان حالتها تلك، وهي كلمة أصلها "يا ويلي" وتقال عندما يفجؤ الإنسان أمرٌ مهم من بلية أو فجيعة أو فضيحة تعجباً منه أو استنكاراً له أو شكوى منه<sup>(٣)</sup>. وكذا عرّفت بحال زوجها الشيخ المسن فأشارت إليه قائلة ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ هود: ٧٢ أي كبيراً لا يولد لمثله، وكما يظهر من السياق أن قصة إبراهيم عليه السلام جاءت مقدمة لقصة لوط عليه السلام قال تعالى: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ هود: ٧٠،

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٩/٦٥-٦٦، تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن

كثير: ٤/٢٣٥ بتصرف

(٢) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن كثير: ٤/٢٣٦

(٣) تفسير المنار، محمد رشيد رضا: ١٢/١٢٩

يجادل الملائكة في شأن قوم لوط، وقد وصفه الله بأنه حلیم أواه منيب، فإذا جمعت هذه الصفات التي جمعها الله لخليله ﷺ إلى ما سبق من الصفات نجد أن إبراهيم ﷺ جمع من الصفات ما لم يجتمع لغيره.

ثم تأتي سورة الحجر: ﴿ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ۝٥١ ۝ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ۝٥٢ ۝ قَالُوا لَا نَوْجَلُ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ۝٥٣ ۝ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ تَبَشِّرُونَ ۝٥٤ ۝ قَالُوا بَشِّرْنَا بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ۝٥٥ ۝ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ۝٥٦ ۝ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ۝ الْحَجْر: ٥١ - ٥٧، تذكر قصة إبراهيم بعد قصة آدم، وهي مبدوءة بأمر إلى النبي محمد ﷺ بقوله تعالى: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٤٩ ۝ وَأَنَّ عَدَائِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ۝٥٠ ۝ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ۝ الْحَجْر: ٤٩ - ٥١، والقصة تحدثنا عما كان بين إبراهيم والملائكة عليهم السلام؛ فتحدثنا عن ضيف إبراهيم وقت دخولهم عليه محيين مسلمين؛ وقد طوي ذكر رده السلام عليهم إيجازاً لظهوره<sup>(١)</sup>؛ ولكن إبراهيم ﷺ يجد في نفسه منهم مقدمات الخوف، وهو الوجل، فيؤانسونه بأن لا داعي لهذا الوجل، فنحن نبشرك بغلام عليم، ونلاحظ هنا أن الله ﷻ بيّن موقف إبراهيم ﷺ من هذه البشارة، بخلاف سورة الذاريات فلم يأت التفصيل، ويستفهم -هنا- إبراهيم ﷺ متعجباً ما هذا الذي تقولون وقد مسني الكبر؛ فبأي شيء تبشرون؟!، فيجيبون بأن هذا هو الحق فلا

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ٤٦/١٣

تستغرب، وتكن من القانطين، فيرد هذه الصفة عن نفسه بقوله: ﴿ وَمَنْ يَقْنُطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾ الحجر: ٥٦، وهو استفهام إنكار في معنى النفي، وأنه لم يذهب عنه اجتناب القنوط من رحمة الله؛ ولكنّه امتلكه المعتاد فتعجب، ومتحققاً للوعد، فصار ذلك كالذهول عن المعلوم فلما نبّه تذكر<sup>(١)</sup>. والتأمل للآيات الكريمة يجد الجدة وعدم التكرار؛ وإنما في الآيات زيادة معان وبيان ليس فيما سبق.

فأولاً: يسميهم ضيفاً، ثانياً: يطوي فيها ذكر الطعام وما يتصل به، ثالثاً: يطوي فيه ذكر المرأة، رابعاً: يشعرهم إبراهيم هنا بوجله، وهو مقدمات الخوف، وفيما سبق "أوجس منهم خيفة"، خامساً: يوصف الغلام بأنه عليم، سادساً: الصورة المعبرة في عبارة "مسنى الكبر"، سابعاً: زيادة بيان نفي صفة القنوط عن إبراهيم عليه السلام، ثامناً: أنّ هذه الصفة "القنوط" لا يتصف بها إلا الضالون، وهو من المهتدين عليه السلام<sup>(٢)</sup>.

ثم تأتي سورة الأنعام، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَأَزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَأَيْتَ إِذْ أُرْسِلُ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ ٱلْأَفْلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى ٱلْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى ٱلسَّمَٰسَ

(١) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل ابن كثير: ٢/ ٦٧٤، التحرير والتنوير، الطاهر ابن

عاشور: ١٤/ ٥٨-٦٠

(٢) خصائص النظم في قصة إبراهيم عليه السلام، الشحات محمد: ١٠٣



الحجج بشاهد من أحوال الأنبياء بذكر مجادلة أول رسول أعلن التوحيد وناظر في إبطال الشرك بالحجة الدامغة والناظرة الساطعة<sup>(١)</sup>، وإن كانت في الحديث عن إبراهيم عليه السلام وأبيه وقومه، إلا أن هذا المقطع يختلف عن سابقه فهنا ذكرت قصة إبراهيم من الجهة التي يعالجها موضوع السورة، وهو إقامة الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة، وردُّ الشبهات بالحجج الدامغة، كان قومه يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب، فأراد أن ينبههم على الخطأ في دينهم، وأن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال، فبيّنت هذه الآيات يقين إبراهيم عليه السلام وما أوتي من بصيرة نافذة وقوة في الحجة، قال ذلك على سبيل المجادلة لقومه وإرخاء العنان لهم؛ ليصلوا إلى تلقي الحجة ولا ينفروا من أول وهلة<sup>(٢)</sup>، فبدأ أولاً في الترقى وهو ينفي الألوهية عن الكواكب بدءاً ببعض النجوم ثم القمر ثم الشمس، وهذا دليل الرشد وحسن الاستدلال، ثم يستدل بالأفول على عدم أهلية هذه الكواكب التي كان يؤلّها قومه، فقال ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ﴾ الأنعام: ٧٦، وأن وراءها محدثاً وصانعاً، ومدبراً دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها، وبعد إبطاله لأكبرها وهي الشمس أعلن براءته منها وصدع بعبودية الله تعالى. ثم بيّن ما أكرم به نبيه من أنه جعل الأنبياء من ذريته، وجعله هو من ذرية نوح عليه السلام.

وقد صرّح هنا باسم والده ولم يذكر هذا الاسم في غير هذه الآية،

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ١٦٩/٦

(٢) المصدر السابق: ١٧٧/٦

وهذا يكون ذكر اسمه حكاية لخطاب إبراهيم إياه خطاب غلظة، فذلك مقتضى ذكر اسمه العلم.

والظاهر أن المحكي في هذه الآية موقف من مواقف إبراهيم مع أبيه، وهو موقف غلظة، فيتعين أنه كان عندما أظهر أبوه تصلباً في الشرك. ويقتضي أن يرى مماثليه في ضلال أيضاً؛ لأنَّ المقام مقام صراحة لا يكتفي فيه بدلالة الالتزام<sup>(١)</sup>؛ ولينبئه من أول وهلة على أن موافقة جمع عظيم إياه على ضلاله لا تعضد دينه ولا تشكك من ينكر عليه ما هو فيه، ومباشرته إياه بهذا القول الغليظ كانت في بعض مجادلاته لأبيه بعد أن تقدم له بالدعوة بالرفق، كما حكى الله عنه في موضع آخر: ﴿يَتَابَت لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُعْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾<sup>(٤٢)</sup> يَتَابَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيًّا<sup>(٤٣)</sup> يَتَابَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا<sup>(٤٤)</sup> يَتَابَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا<sup>(٤٥)</sup> قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْهَيْتِ يَتَابِرْهِمٌ لِّئِنْ لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرْنِي مَلِيًّا<sup>(٤٦)</sup> قَالَ سَلِّمْ عَلَيَّ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾<sup>(٤٧)</sup> فلما رأى تصميمه على الكفر سلك معه الغلظة استقصاء لأساليب الموعظة لعل بعضها أن يكون أنجع في نفس أبيه من بعض فإنَّ للنفوس مسالك ولمجال

(١) دلالة الالتزام: هي دلالة اللفظ على خارج عن مسماه لازم له لزوماً ذهنياً أو خارجياً. كدلالة لفظ السقف على الجدار؛ فإنه لا وجود للسقف إذا لم يكن هنالك جدار. انظر المحصول في أصول الفقه، الرازي: ١/ ٢١٩، آداب البحث والمناظرة، محمد الشنقيطي: ١٣/ ١، معجم مصطلحات أصول الفقه، مصطفى سانو: ٢٠٢.

أنظارها ميادين متفاوتة<sup>(١)</sup>.

وفي سورة الصافات، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَيْفَاكَ ءَالِهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَظَنَرَنظَرَةً فِي التُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَى ءَالِهِنَّهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْجُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴿١٠٢﴾ قَالَ يَتَأْتٍ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٣﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٤﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنِ يَتَّيِّرْهُ لِي بِرَبِّهِمْ ﴿١٠٥﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَّاكَ بِنَجْرِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٦﴾ إِنَّكَ هَذَا لَهُوَ الْبَلْتَأُ الْمُبِينُ ﴿١٠٧﴾ وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٩﴾ سَلَّمَ عَلَيَّ إِبرَاهِيمَ ﴿١١٠﴾ كَذَّاكَ بِنَجْرِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٣﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَيَّ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٤﴾ الصافات: ٨٣-

١١٣ ، تَخْلُصُ هَذِهِ الْآيَاتُ إِلَى حِكَايَةِ مَوْقِفِ إِبرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ قَوْمِهِ فِي دَعْوَتِهِمْ إِلَى التَّوْحِيدِ وَمَا لَاقَاهُ مِنْهُمْ وَكَيْفَ أَيْدَى اللَّهُ وَنَجَّاهُ مِنْهُمْ، وَقَعَ هَذَا التَّخْلُصُ إِلَيْهِ بِوَصْفِهِ مِنْ شَيْعَةِ نُوحٍ؛ لِيُفِيدَ بِهَذَا الْأَسْلُوبِ الْوَاحِدِ تَأْكِيدَ الشَّنَاءِ عَلَى نُوحٍ وَابْتِدَاءَ الشَّنَاءِ عَلَى إِبرَاهِيمَ؛ وَتَخْلِيدَ مَثَبَةَ لِنُوحٍ إِنْ كَانَ

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ١٧٢/٦-١٧٣



إبراهيم الرسول العظيم من شيعته وناهيك به، وكذلك جمع محامد إبراهيم في كلمة كونه من شيعة نوح المقتضي مشاركته له في صفاته، كان الحديث عن إبراهيم عليه السلام بعد الحديث عن نوح عليه السلام؛ فقوله: ﴿مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ الصافات: ٨٥، استفهام إنكاري على أن تعبدوا ما يعبدونه؛ ولذلك اتبعه باستفهام آخر إنكاري وهو ﴿أَفِئْكَآ ءِآلِهَةٌ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ الصافات: ٨٦، وهذا الذي اقتضى الإتيان باسم الإشارة بعد "ما" الاستفهامية الذي هو مشرب معنى الموصول المشار إليه؛ فاقضى أن ما يعبدونه مشاهد لإبراهيم فانصرف الاستفهام بذلك إلى معنى دون الحقيقي وهو معنى الإنكار، بخلاف قوله: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ الشعراء: ٧٠؛ فإنه استفهام على معبوداتهم ولذلك أجابوا عنه: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَنكِفِينَ﴾ الشعراء: ٧١، وإنما أراد بالاستفهام هنالك التمهيد للمحاجة؛ فصوره في صورة الاستفهام لسمع جوابهم فينتقل إلى إبطاله، كما هو ظاهر من ترتيب حجاجه هنالك، فذلك حكاية لقول إبراهيم في ابتداء دعوته قومه، وأما ما هنا فحكاية لبعض أقواله في إعادة الدعوة وتأكيدها<sup>(١)</sup>. وقد أنكر على أبيه وقومه ما يعبدون، وكل هذه الآلهة التي يدعونها من دون الله؛ وتحدث عن يقظة إبراهيم عليه السلام ورجاحة عقله وشدة حرصه على دينه، فأخبرهم أنه به سقماً يمنع من أن يشاركهم مسيرتهم، فأدبروا إلى حيث يريدون، وهنا رأى إبراهيم عليه السلام أن الفرصة قد سنحت، وبكل قوة يأخذ

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ٥٣/٢٣

بتحطيم الأصنام، ويأتي القوم ليروا ما حلَّ بأصنامهم فَيَقْبَلُونَ مسرعين إلى إبراهيم؛ ولكنَّ إبراهيم عليه السلام يباغتهم فيلزمهم الحجة، فكيف يعبدون هذه الأصنام التي ينحتونها هم بأيديهم مع أنَّ الله تبارك وتعالى هو الذي خلقهم وخلق كل ما يعملون؛ فلما لزمهم الحجة ورأوا أنَّهم بعيدون عن الحجة لجأوا إلى القوة والبطش، فتواصوا ببنيان بينونه، وكيد لإبراهيم يريدونه؛ فليسعروا ذلك البنيان بالنار حتى تصير جحيماً، فيلقوا فيها إبراهيم عليه السلام؛ ولكنَّ الله عز وجل يبطل كيدهم، ولم يُصب إبراهيم عليه السلام بسوء. ويسأل إبراهيم ربه أن يهب له من الصالحين ذرية طيبة؛ فيستجيب الله دعاءه ويشره بسلام حليم ولا عجب فالحلم صفة إبراهيم عليه السلام كذلك، ويولد هذا الغلام ويشتد عوده حينما يبلغ مبلغاً يمكنه من أن يسعى مع أبيه في قضاء حوائجه، وحينما أخبر إبراهيم ابنه أنَّه رأى في المنام أنَّه يذبحه، فما كان من الابن إلا أن يعلن لأبيه بأن يفعل ما يؤمر به وسيجده إن شاء الله صابراً، فتحدثنا القصة عن حلم الولد من جهة، وحلم الأب من جهة أخرى، فيتلى الأب بذبح ابنه؛ فيتغلب على كل عاطفة، وكيف تطيب نفس الابن المذبوح بما يريده أبوه فيذعن لهذا الحكم بكل رضى ومحبة من غير تردد، ويسلم كل من الأب والابن لله خاضعين، وينادى إبراهيم عليه السلام بعد أن تلَّ ولده للجبين قد صدقت الرؤيا ويجازى بإحسانه على هذا الابتلاء العظيم، ويكرم إبراهيم عليه السلام بالفداء، ويفدى الابن البار بكبش يذبحه الأب مكانه، وهذا امتحان للخضوع والإيمان ونفي الخلة لغير الله عز وجل. ولم يصدر قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ الصافات: ١١٠ بـ "أنا" كما في غيرها من القصص، وكما في

الآيات السابقة في هذا المقطع، للاكتفاء بالتأكيد في الآية السابقة عن التأكيد هنا، والمجزي في الآيتين إبراهيم عليه السلام؛ وللإشارة إلى أن قصة إبراهيم عليه السلام لم تنته بعد، فقوله تعالى: ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ ﴾ الصافات: ١١٢ إِنْخ من تكملتها<sup>(١)</sup>. وللمغايرة بين النظم في القصة الواحدة<sup>(٢)</sup>. ويشير الله عز وجل بولد آخر هو إسحاق نبياً وبيارك عليهما، وأن من ذريتهما المحسن والظالم لنفسه.

ثم جاءت بعد ذلك سورة الزخرف، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٣٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴿٣٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ الزخرف: ٢٦-٢٨، لما ذكرهم الله بالأمم الماضية وشبهه حالهم بحالهم ساق لهم أمثالا في ذلك من مواقف الرسل مع أممهم منها قصة إبراهيم عليه السلام مع قومه<sup>(٣)</sup>، وفيها إشارة موجزة متلائمة مع موضوع السورة، وسورة الزخرف إحدى الحواميم؛ والمتأمل في موضوعها يجد أنها تضيّق على المشركين كل مسربٍ يمكن أن يسيروا فيه جَدَلِينَ خَصِمِينَ؛ فهي تُرَدُّ على شبهاتهم وتبطل ما ادّعوه من تقليد الآباء، وبعد مناقشتهم فيما ادّعوه من جعل الملائكة بنات الله، وعبادتهم لها، مدّعين أن تلك مشيئة الله، قالوا: ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ ﴾ الزخرف:

(١) إرشاد العقل السليم، محمد أبو السعود: ٢٠٢/٧، روح المعاني، محمود

الألوسي: ١٣٢/١٢

(٢) خصائص النظم في قصة إبراهيم عليه السلام، الشحات محمد: ١٠٩

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ١٩١/٢٥

٢٠، فَيَرُدُّ اللهُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُ لَا مُسْتَنْدَ لَهُمْ نَقْلِي وَلَا عَقْلِي، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ الزخرف: ٢٠، وهذا نفي للحجة العقلية، فهو خرص وكذب وظن، ثم يقول الله: ﴿أَمْ آئِنْتَهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ الزخرف: ٢١، وهذا نفي للحجة النقلية أن يكون عندهم كتاب؛ وإنما جاءوا بذلك من تقليد الآباء المذموم، قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ الزخرف: ٢٢، ثم تأتي الإشارة إلى إبراهيم عليه السلام، لتبين لهم إن كنتم صادقين في الانتساب إلى إبراهيم فقد تبرأ من أبيه وقومه، وهو من آباءكم فلما لم تتبعوه، وتتبعون ما كان من الآباء باطلاً. وَخُصَّ أَبُو إِبْرَاهِيمَ بِالذِّكْرِ قَبْلَ ذِكْرِ قَوْمِهِ وَمَا هُوَ إِلَّا وَاحِدٌ مِنْهُمْ اهتماً بذكره؛ لأنَّ براءة إبراهيم مما يعبد أبوه أدلُّ على تجنب عبادة الأصنام بحيث لا يتسامح فيها ولو كان الذي يعبدها أقرب الناس إلى موحد الله بالعبادة مثل الأب؛ ولتكون حكاية كلام إبراهيم قدوة لإبطال قول المشركين: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ الزخرف: ٢٢<sup>(١)</sup>. وزاد جل وعلا في سورة الممتحنة براءته أيضاً من العابدين، وعداوته لهم، وبغضه لهم في الله، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرءُؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ الممتحنة: ٤<sup>(٢)</sup>.

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ٢٣٧/٢٥-٢٣٨

(٢) أضواء البيان، محمد الشنقيطي: ١٠١/٧

ثم تأتي سورة الذاريات، قال تعالى: ﴿ هَلْ أَنْتَ حَدِيثٌ ضَيْفٌ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِنِعْمَةٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَخٍ فَصَكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ الذاريات: ٢٤ - ٣٠،

توعد الله ﷻ المكذبين بالعذاب، وما ذكر فيها من قصة إبراهيم فهي كالتوطئة لذكر العذاب الذي حلَّ بقوم لوط عليه السلام، وإن كان الجانب الذي تناولته السورة قد تقدم في سورتي هود والحجر إلا أننا مع ذلك نجد أن لكل واحدة لونا خاصاً بها وهدفاً يبعد شبهة التكرار في القصتين، وإن كان هناك تشابه في بعض الأحداث، بدأت القصة في سورة هود بقوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلْنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ ﴾ هود: ٦٩، وفي سورة الحجر ﴿ وَنَبَّأَهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ الحجر: ٥١؛ لكن هنا بدأت بقوله تعالى: ﴿ هَلْ أَنْتَ حَدِيثٌ ضَيْفٌ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ الذاريات: ٢٤،

انتقال بالنبي ﷺ من الجو الذي يعيش فيه مع قومه، وما يفوح منهم من ريح خبيثة، محملة بإفرازات كفرهم وضلالهم، ففي الاستفهام دعوة للنبي الكريم من ربه، إلى أن يخرج من هذا الجو الفاسد، وأن يملأ صدره بشذا هذه الرياح الطيبة التي تهب عليه من ذكرى نبي كريم، هو إبراهيم عليه السلام، وما كان له عند الله من فضل وإحسان<sup>(١)</sup>، فكان تسلياً له ﷺ، والتعبير هنا

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب: ٩٩ / ١

بأنهم ضيوف مكرمون، ثم إنَّ إبراهيم عليه السلام قد أنكرهم ، وسواء كان هذا الإنكار من حيث هيئاتهم أم من حيث تحييتهم، إلا أنَّ إبراهيم عليه السلام مع ذلك أسرع في خفية عنهم، فجاءهم بعجل سمين<sup>(١)</sup>، وَبَيَّنَّ فِي مَوْضِعٍ أَنَّهُ تَعَجَّلَ الْقَرَى لِقَوْلِهِ: ﴿فَمَا لَيْتَ أَنْ جَاءَ بِعَجَلٍ حَنِيدٍ﴾ هود: ٦٩، ولما قربه إليهم أنكر عليهم مرة أخرى عدم أكلهم، فأوجس منهم خيفة فبشروه بغلام عليم، فأقبلت امرأته في صيحة تضرب وجهها لغرابة ما سمعت، كيف وهي عجوز عقيم؟! فأجابوها بأنَّ هذا قضاء الله الحكيم العليم. ومما ذكر في سورة الذاريات ولم يذكر في سورة هود والحجر، مع أن فيهما الكثير مما لم يذكر في سورة الذاريات، ومما ذكر هنا الخوف وهو غير الوجل، وفي سورة هود كان العجب من امرأة إبراهيم ولكنها عبرت عن ذلك بما أخبرت به من قول، وتحدثت به من كلام؛ أما في سورة الحجر فلم يرد لامرأة إبراهيم ذكر، وإنما كان العجب من إبراهيم عليه السلام، وفي هذه السورة بيَّنت لنا كيف عبرت المرأة عما في نفسها حينما أقبلت في صرة فصكت وجهها، فهنا ذكرت حركات التعجب، وفي آية هود ذكر لفظ التعجب؛ لتكتمل الصورة بكل ما فيها، ويكون ذلك أبلغ في التعبير. وكذا في تقديم البشارة وتأخيرها في القصة ثم ذهاب الخوف ثم مجادلة إبراهيم عليه السلام الملائكة في قوم لوط؛ فلأنَّ السياق يتطلب تقديم الهدف الذي يحرص السياق على إبرازه وجعله المحور الذي من أجله قدم هذا وآخر هذا لمناسبته تقوية للدلالة على المراد،

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ٢٧ / ٢٥، خصائص النظم في قصة إبراهيم

عليه السلام، الشحات محمد: ١٥٤-١٥٥

وفي قوله: ﴿ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجْدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ هود: ٧٤، لم يبيّن هنا ما جادل به إبراهيم الملائكة في قوم لوط، ولكنه أشار إليه في العنكبوت بقوله ﴿ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّا أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ (٣١) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ... ﴿ العنكبوت: ٣١ - ٣٣ (١).

ثم تأتي سورة النحل، وتسمى بسورة النعم، ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٢٠) شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ أَجْتَبَنَّهُ وَهَدَانُهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ ١٢١ ﴾ وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿ ١٢٢ ﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿ ١٢٣ ﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿ النحل: ١٢٠ - ١٢٤، وجاءت الإشارات فيها عن إبراهيم عليه السلام متفقة مع موضوع السورة، لبيّن شكر إبراهيم عليه السلام لما أنعم الله عليه، فزاده وأدام عليه نعمه. والمقصود أنهم كانوا في الجاهلية ثم اتبعوا الإسلام، فبعد أن بشرهم بأنه غفر لهم ما عملوه من قبل زادهم فضلا ببيان فضل الدين الذي اتبعوه. وجعل الثناء على إبراهيم عليه السلام مقدمة لذلك؛ لبيان أن فضل الإسلام فضل زائد على جميع الأديان بأنّ مبدأه برسول ومنتهاه رسول، وهذا فضل لم يحظ به دين آخر (٢). وفيه تعريض باليهود الذين خرجوا على شريعة أبيهم إبراهيم خروجا صارخا، فكفروا بأنعم

(١) أضواء البيان، محمد الشنقيطي: ١٨٧/٢

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ٢٥٣/١٣

- الله، ومكروا بآياته، وكذبوا رسله، وتنكبوا طريق الحق، وركبوا طُرُق الضلال<sup>(١)</sup>. وقد وصف الله تعالى إبراهيم عليه السلام بتسع صفات هي:
١. أنه كان أمة، أي كان وحده أمة من الأمم؛ لكمالها في صفات الخير. وأنه الإمام الذي يقتدى به.
  ٢. كونه قانتاً لله، أي خاشعاً مطيعاً لله قائماً بأمره.
  ٣. كونه حنيفاً، أي مائلاً عن الشرك والباطل قصداً إلى التوحيد.
  ٤. أنه ما كان من المشركين؛ بل كان من الموحدين في الصغر والكبر، فهو الذي قال لملك زمانه ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ البقرة: ٢٥٨، وهو الذي أبطل عبادة الأصنام والكواكب بقوله ﴿لَا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ﴾ الأنعام: ٧٦، ثم كسر الأصنام حتى ألقوه في النار.
  ٥. شاكراً لأنعم الله عليه، والأنعام وإن كان جمع قلة إلا أن المراد به أنه كان شاكراً لجميع نعم الله إن كانت قليلة، فبالأولى الكثيرة، وهذا كما قال تعالى ﴿وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ النجم: ٣٧، أي قام بجميع ما أمره الله تعالى به. وهذا تعريض بكل من جحد بأنعم الله مثل قريش وغيرهم.
  ٦. أنه اجتباه ربه، أي اختاره واصطفاه للنبوة.
  ٧. أنه هداه إلى صراط مستقيم، أي في الدعوة إلى الله والترغيب في الدين الحق، والتنفير عن الدين الباطل.

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب: ٣٢٦/١



٨. وآتاه الله في الدنيا حسنة.

٩. وأنه في الآخرة لمن الصالحين، أي في زمرةهم.

وبعد تعداد هذه الصفات العالية لإبراهيم عليه السلام، أمر الله نبيه عليه السلام باتباعه <sup>(١)</sup>.

ثم تأتي سورة إبراهيم عليه السلام، وهي موضوع البحث كما سيأتي مفصلاً.

ثم تأتي سورة الأنبياء، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ

وَكُنَّا بِهِ عَلِيمِينَ ۝٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ۝٥٢﴾

قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ ۝٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ

۝٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ۝٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي

فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۝٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا

مُدْبِرِينَ ۝٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ۝٥٨﴾ قَالُوا مَنْ

فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۝٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَىٰ يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ

۝٦٠﴾ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۝٦١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا

بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ۝٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَشَاءُواهُمَ إِنْ كَانُوا

يَنْطِقُونَ ۝٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ۝٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ

رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ۝٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝٦٦﴾ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا

تَعْقِلُونَ ۝٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ۝٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي

بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ۝٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ۝٧٠﴾

وَجَعَلْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ۝٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ

(١) التفسير المنير، وهبة الزحيلي: ١٤ / ٢٧٠-٢٧٢

وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً<sup>ط</sup> وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَكُ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴿٧٣﴾ الأنبياء: ٥١ - ٧٣ ، ذُكِرَتْ قصة إبراهيم عليه السلام بعد الحديث عن موسى عليه السلام ، وتبدأ القصة بما أكرم الله به إبراهيم عليه السلام من الرشد، " وفي إسناد الإيتاء إلى ضمير الجلالة للتنبيه على تفخيم ذلك الرشد الذي أوتيته. والرشد: الهدى والرأي الحق، وضده: الغي، وزاد تنويهاً وتفخيماً تذييله بالجملة المعترضة قوله تعالى ﴿ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ : أي آتيناه رشداً عظيماً على علم منا بإبراهيم، بكونه أهلاً لذلك الرشد، وعلم من سريرته صفات قد رضىها وأحمدها فاستأهل بها اتخاذه خليلاً<sup>(١)</sup> ، وهي كلمة جامعة تدل على سلامة العقيدة والسلوك الحَيْر، إنها تُدُلُّ على التوفيق في العلم والعمل، وصدق الظاهر والباطن. والقصة تحدثنا عن محاورة إبراهيم عليه السلام مع قومه، فيأتي التساؤل من إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتَ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ الأنبياء: ٥٢ ، يستنكر عكوفهم ولزومهم هذه التماثيل. وفي هذه التسمية ما يدل على حقارة شأنها؛ لأن التماثيل ما هي إلا أشكال صنعت لتشبه صوراً مخصوصة. وهذا كاف في ضالتها وكونها غير مستحقة لهذا العكوف، ولا يجد القوم ما يجيبون به عن أحقية هذه التماثيل بعبادتهم وعكوفهم؛ ولكنهم يتهربون من الإجابة مُدَّعين أَنَّهُمْ إِنَّمَا قلدوا في عبادتها، والعكوف لها آباءهم دون أن يكون لهم نظر مستقل في شأنها. ويجيبهم عليه السلام أَنَّهُمْ هُمْ وَأَبَاؤُهُمْ

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ٦٨ / ١٧

مستغرقون في الضلال، منغمسون فيه؛ وكأنه يُبين لهم أنّ الباطل لا يمكن أن يصير حقاً مهما كثر أتباعه وتعدد أنصاره، ويردون عليه متجاهلين الحديث عن هذه الأصنام والتماثيل، متسائلين: تُرى أجتئنا بالحق أم أنت لا تزال منغمساً في لهوك ولعبك، ويحيبهم ﷺ جواب الداعية الواثق من دعوته الذي لا ينتقم لنفسه، مبلغاً رسالة ربه، بأنّ ربهم الذي ربّاهم وأنعم عليهم حري به أن يُعبَدَ وهو رب السماوات والأرض، وأنّ هذه عقيدته وهذا هو دينه وهو على ذلك من الشاهدين. وقرر بعد قَسَمِهِ أن يدبر أمراً لأصنامهم بعد أن يذهبوا للهوهم ولعبهم في عيدهم، وقد برّ بقَسَمِهِ فحطّم الأصنام وجعلها جذاذاً وقطعها قطعاً؛ وأبقى كبير هذه الأصنام دون أذى ليرجعوا إليه بعد مجيئهم من عيدهم؛ فتساءلوا من الذي فعل بألتهم هذا الفعل، ويقول بعضهم الذين سمعوا ذلك الفتى يذكر أصنامهم بسوء وهو ذلك الذي يقال له: إبراهيم، ويقررون أن يأتوا بإبراهيم ﷺ أمام جموعهم وعلى أعينهم، ويقرر بها فعل: ﴿ ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ الأنبياء: ٦٢. فَرَدَّ: ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ الأنبياء: ٦٣، وهذا ليس كذباً في حقيقته وإنما هو من باب التعريض والتورية، فليسألوه إن كان يستطيع جواباً، فيرجعون إلى أنفسهم ويقولوا بأنهم على باطل ﴿ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ الظَّالِمُونَ ﴾ الأنبياء: ٦٤، كيف تعبدون هذه الأصنام التي لا تستطيع أن تدفع عن نفسها سوءاً ولا ترد ضراً، ثم يرجعون إلى غيهم فينكسبون على رؤوسهم يطرقونها خجلين مفكرين، كيف نسألهم وأنت تعلم أنّهم لا يستطيعون نطقاً ولا يحIRON جواباً،

فيلزمهم إبراهيم عليه السلام الحجة فتعبدون ما لا يجلب لكم نفعاً ولا ضرراً، إنَّ ذلك يدعو إلى التضجر والتأفف منكم ومما تعبدون، ألا تستعملوا عقولكم، ولما لم يجد القوم ما يدافعون به عن ضلالهم وليس لهم حجة، هرعوا إلى القوة ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ ﴾ الأنبياء: ٦٨ ، فتأتي المعجزة من الله ﷻ ﴿ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا ﴾ الأنبياء: ٦٩. ونجى الله إبراهيم ولوطاً عليهما السلام ووهب إبراهيم إسماعيل وإسحاق عليهم السلام، ولقد أشير إلى هذه القصة في سورة الصافات كما مرَّ سابقاً؛ ولكن كانت إشارة مجملة بخلاف التفصيل في هذه السورة لا من جهة الموضوع أو دقة التعبير ومن حيث بعض المفردات كذلك، فلكل قصة نسقها والتكرار منتفي<sup>(١)</sup>، وهذا العمل الذي عمله إبراهيم عمله بعد أن جادل أباه وقومه في عبادة الأصنام والكواكب ورأى جماهم عن الحجة الواضحة كما ذكر في سورة الأنعام<sup>(٢)</sup>.

ثم تأتي سورة الحج، وهي مختلف في مكيتها ومدنيتها، فجمهور المفسرين على أنَّها مكية إلا بضع آيات قيل: بأنَّها مدنية<sup>(٣)</sup>، حدثتنا السورة أنَّ الله أكرم إبراهيم فبوأ له مكان البيت، وأمره أن يعبده وحده، وأن يطهر

(١) خصائص النظم في قصة إبراهيم عليه السلام، الشحات محمد: ١٦٣، التفسير المنير، وهبة الزحيلي: ٧٢ / ١٧

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ٧٢ / ١٧

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب: ٧ / ٤٨٣٣، معالم التنزيل، الحسين البغوي: ٣ / ٣٢٢، اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي: ٣ / ١٤

بيته للطائفين والقائمين والركع السجود، وأن يؤذن في الناس بالحج. هذه الإشارة التي اكدت بها سورة الحج ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٦٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿الحج: ٢٦-٢٧﴾، وهي عطف على جملة ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَاجِمِ يَظْلَمِ ﴾ الحج: ٢٥ ، "عطف قصة على قصة، ويعلم منها تعليل الجملة المعطوفة عليها بأن الملحد في المسجد الحرام قد خالف بإلحاده فيه ما أراه الله من تطهيره حين أمر ببنائه، والتخلص من ذلك إلى إثبات ظلم المشركين وكفرانهم نعمة الله في إقامة المسجد الحرام وتشريع الحج" (١).

ثم تأتي سورة العنكبوت، قال تعالى: ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَأَشْكُرُوا لَهُ ۗ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۗ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ١٧/١٧٤، التفسير الوسيط، وهبة

﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴿٢٦﴾ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ إِجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٨﴾ العنكبوت: ١٦- ٢٧، وهي آخر السورة المكية التي تحدثت عن إبراهيم عليه السلام، "فانتقل من خبر نوح إلى خبر إبراهيم عليهما السلام لمناسبة إنجاء إبراهيم من النار كإنجاء نوح من الماء"<sup>(١)</sup>، وكان الحديث فيها عمًّا كان بينه وبين قومه، "ودعوة إبراهيم عليه السلام لقومه كانت قائمة على أمرين هما دعوة جميع الرسل الكرام عليهم السلام وهما: الدعوة لعبادة الله وحده سبحانه، والدعوة لتقوى الله سبحانه"<sup>(٢)</sup>. والجانب الآخر عن مجيء الرسل من الملائكة، وهو متناسب مع موضوع السورة؛ إذ تبين ما تحمَّله الأنبياء وما ينبغي أن يتحمَّله الدعاة ورثتهم تبين النتائج الطيبة التي يكرم الله بها الأنبياء قدوة العلماء. "ومن المحاجة إقام إبراهيم عليه السلام دليلاً على الرسالة بقوله: ﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ العنكبوت: ١٨، وبعد بيان الأصل الأول والاستدلال

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ٢٠/١٥٠

(٢) آيات التقوى في القرآن الكريم، حسين الجبوري: ١/١٢١

عليه وهو التوحيد، والإشارة إلى الأصل الثاني وهو الرسالة، شرع في بيان الأصل الثالث وهو الحشر أو البعث والنشور، وهذه الأصول الثلاثة متلازمة لا يكاد ينفصل ذكر بعضها عن بعض في البيان الإلهي<sup>(١)</sup>.

هذا هو ما ذكره الله ﷻ في كتابه مما جاء في السور المكية عن إبراهيم ﷺ.

وأما السور المدنية ففي مجملها تشمل موضوعات ثلاثة:

الأول: بناء إبراهيم ﷺ للبيت العتيق، وما يتصل بذلك من دعواته لهذه الأمة.

الثاني: تبرئته ﷺ من أن يكون يهودياً أو نصرانياً أو مشركاً.

الثالث: براءته ﷺ صراحة من أبيه، بعد أن تبين أنه عدو لله ﷻ.

ونجد أن هذه الموضوعات الثلاثة تقتضيها طبيعة العهد المدني؛ لأنها

ذات صلة مباشرة بما كان بين المسلمين وبين غيرهم من أهل الكتاب؛ كما

أنها ذات صلة مباشرة بتحويل القبلة، وهي كذلك ذات صلة مباشرة

بالتأكيد على نوع العلاقة التي ينبغي أن تكون بين المؤمنين وبين أقربائهم

وذويهم إذا اختار أولئك الأقرباء الكفر على الإيمان، ومع هذا كله نجد أن

شائبة التكرار منتفية انتفاء تاماً.

سورة البقرة، فأما الحديث عن البيت ورفع والدعاء لأهله فهو

موضوع البحث كما سيأتي مفصلاً، وقد جاء في سورة البقرة إشارة إلى

قضيتين:

الأولى: الملك الذي حَاجَّ إبراهيم ﷺ في ربه، وكان حرياً به أن يشكر

(١) التفسير المنير، وهبة الزحيلي: ٢٠٠ / ٢٢١

نعم الله لا أن يكفر؛ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَهيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَهُ اللهُ الْمَلِكَ إِذْ قَالَ إِبرهيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبرهيمُ فَإِنَّكَ اللهُ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ البقرة: ٢٥٨، قيل: إنه النمرود، فقال له إبراهيم ﴿ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ البقرة: ٢٥٨ فأجاب: ﴿ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾ البقرة: ٢٥٨، فارتقى إبراهيم عليه السلام إلى ما هو أعلى مقاماً فقال: ﴿ فَإِنَّكَ اللهُ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ البقرة: ٢٥٨.

الثانية: في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبرهيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِن لِّيُطْمِئِنَّ قَلْبِي قَالَ فُخِّدْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ البقرة: ٢٦٠.

وفي هذه الآية نبيّن ما يلي:

أولاً: لا يفهم من هذا أن إبراهيم عليه السلام كان شاكاً، فأراد أن يذهب هذا الشك، فأسلوب الآية لا يدل على ذلك، فإبراهيم عليه السلام يطلب من الله عز وجل أن يريه كيف يحيي الموتى، ويقول ﴿ أَوْلَمْ تُؤْمِنْ ﴾ البقرة: ٢٦٠ وهو سبحانه يعلم إيمانه، ويقول إبراهيم عليه السلام ﴿ بَلَىٰ ﴾ البقرة: ٢٦٠، وهذه الكلمة تدل على الإيجاب، أي: "بلى قد آمنت" ولكن ليطمئن قلبي.

ثانياً: أنّ طمأنينة القلب لا تعني الشك والارتياب، وقد جاءت بعض الآيات التي ذكرت فيها الطمأنينة والمخاطبين لم يكونوا شاكين،



كقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنَطْمِئِنَ قُلُوبُكُمْ بِهِ ﴾ آل عمران: ١٢٦ ، وهذا خطاب للرسول ﷺ وللمؤمنين الصادقين.

ثالثاً: أن درجات العلم ثلاثة "علم اليقين، وعين اليقين، وحق اليقين"، والذي طلبه إبراهيم عليه السلام أن يرى هذا الدليل معاينة؛ فليس من رأى كمن سمع.

رابعاً: أن النبي ﷺ نفى الشك عن إبراهيم عليه السلام، فقال ﷺ: ( نحن أحق بالشك من إبراهيم )<sup>(١)</sup> .<sup>(٢)</sup>

ثم تأتي سورة آل عمران، وقد جاء فيها الإشارة إلى قضيتين:  
الأولى: خطاب لليهود والنصارى في منازعتهم ومجادلتهم في إبراهيم عليه السلام؛ حيث يدعي كل منهم أنه عليه السلام كان على دينه؛ فرد الله عليهم ونبه على حماقتهم، وأن أقرب الناس وأخصهم بإبراهيم عليه السلام الذين اتبعوه<sup>(٣)</sup>؛ فقال:  
﴿ يَتَأَهَّلَ الْكُتُبِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَاتَيْنِ هَتُورًا حَبَجْتُمَ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران:

٦٥ - ٦٨

(١) سبق تخرجه: ١

(٢) خصائص النظم في قصة إبراهيم عليه السلام، الشحات محمد: ٤٣٧-٤٤٨ بتصرف

(٣) روح المعاني، محمد الألوسي: ١٨٧/٢-١٨٨ بتصرف

الثانية: في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ آل عمران: ٩٦ - ٩٧ جاءت بإشارة موجزة عن أن أول بيت وضع للناس هو هذا البيت العتيق الذي ببكة مباركاً، وهدى للعالمين، فيه آيات بيّنات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً.

ثم تأتي سورة الممتحنة، ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرءُؤُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ الممتحنة: ٤ - ٥، وهي التي نهي فيها المؤمنون أن يتخذوا عدو الله وعدوهم أولياء وللسورة سببها وهو ما جرى قبيل فتح مكة من أحد الصحابة رضي الله عنهم، ويأتي ذكر إبراهيم في هذا المقام متسقاً مع ما جاءت السورة من أجله. "والتأسي هنا في ثلاثة أمور:

أولاً: التبرؤ منهم ومما يعبدون من دون الله.

ثانياً: الكفر بهم.

ثالثاً: إبداء العداوة والبغضاء وإعلانها وإظهارها أبداً إلى الغاية المذكورة حتى يؤمنوا بالله وحده، وهذا غاية في القطيعة بينهم وبين قومهم، وزيادة عليها إبداء العداوة والبغضاء أبداً، والسبب في ذلك هو الكفر، فإذا

آمنوا بالله وحده انتفى كل ذلك بينهم" (١).

ثم تأتي سورة براءة، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ١١٣ ﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأبيه إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿ التوبة: ١١٣ - ١١٤ ، وهي السورة التي ذكر فيها المنافقون، وما كان من استغفار المؤمنين والنبي ﷺ لهم ، فتذكر السورة نبأ إبراهيم عليه السلام، ونجد ما جاء في سورة براءة ليس هو ما جاء في سورة مريم ولا ما جاء في سورة الممتحنة؛ لأنَّ سورة مريم والممتحنة تُبيِّن "أنَّ إبراهيم عليه السلام وعد أباه بالاستغفار؛ ولكن سورة براءة بيَّنت أنه تبرأ منه بعد أن تبين له عداوته لله ﷻ" (٢).

(١) أضواء البيان، محمد الشنقيطي: ٨ / ٨٥

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ١٠ / ٢١٤-٢١٥

## المبحث الثاني

### علاقة قصة إبراهيم عليه السلام بمقصود سورتي البقرة وإبراهيم

إن سياق القصص في القرآن بهذا التناسق بينه وبين الموضوع الذي يساق فيه، ويستشهد بالقصة عليه؛ والتناسب بين أهداف القصة والسياق في السورة الواحدة؛ ليشهد بعلاقة وثيقة بين القصة ومقصود السورة وأهدافها.

ويحسن في أول العرض أن نتحدث عن علاقة كل مقطع وسياق نظمه وإدراجه في السورة التي ذكر فيها، بعد ذكر الآيات؛ فنقول:

#### سورة البقرة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَاً وَاجْتَدُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّىً وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَصْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ لِرَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ ءَابَاؤُنَا وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ البقرة: ١٢٤ - ١٣٣

"لما استقصى سبحانه وتعالى في شرح وجوه نعمه على بني إسرائيل، ثم في شرح قبائحهم في أديانهم وأعمالهم وختم هذا المقطع بما بدأ به وهو قوله ﴿يَبْنِيَّ إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ البقرة: ٤٧ - ٤٨ ، شرع سبحانه ههنا في نوع آخر من البيان وهو أن ذكر قصة إبراهيم عليه السلام وكيفية أحواله، والحكمة فيه أن إبراهيم عليه السلام رسول يعترف بفضله جميع الطوائف والملل، فالمشركون كانوا معترفين بفضله؛ متشرفين بأنهم من أولاده ومن ساكني حرمه وخادمي بيته، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا أيضاً مقرين بفضله متشرفين بأنهم من أولاده، فحكى الله سبحانه وتعالى عن إبراهيم عليه السلام أموراً توجب على المشركين وعلى اليهود والنصارى قبول قول محمد عليه السلام والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه.

وبيانه من وجوه:

أحدها: أنه تعالى لما أمره ببعض التكاليف؛ فوفى بها وخرج عن عهدها؛ لا جرم نال النبوة والإمامة وهذا مما ينبه اليهود والنصارى والمشركين على أن الخير لا يحصل في الدنيا والآخرة إلا بترك التمرد والعناد

والانقياد لحكم الله تعالى وتكاليفه.

ثانيا: أنه تعالى حكى عنه أنه طلب الإمامة لأولاده فقال الله تعالى ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ البقرة: ١٢٤، فدل ذلك على أن منصب الإمامة والرياسة في الدين لا يصل إلى الظالمين، فهؤلاء متى أرادوا وجدان هذا المنصب وجب عليهم ترك اللجاج والتعصب الباطل.

ثالثا: أن الحجج من خصائص دين محمد ﷺ، فحكى الله تعالى ذلك عن إبراهيم ليكون ذلك كالحجة على اليهود والنصارى في وجوب الانقياد لذلك.

رابعا: أن القبلة لما حولت إلى الكعبة شق ذلك على اليهود والنصارى، فبين الله تعالى أن هذا البيت قبلة إبراهيم الذي يعترفون بتعظيمه ووجوب الاقتداء به فكان ذلك مما يوجب زوال ذلك الغضب عن قلوبهم.

خامسا: أن من المفسرين من فسّر الكلمات التي ابتلى الله تعالى إبراهيم بها بأمور يرجع حاصلها إلى تنظيف البدن وذلك مما يوجب على المشركين اختيار هذه الطريقة؛ لأنهم كانوا معترفين بفضل إبراهيم عليه السلام، ويوجب عليهم ترك ما كانوا عليه من التلطيخ بالدماء وترك النظافة.

ومن المفسرين من فسّر تلك الكلمات بأن إبراهيم عليه السلام صبر على ما ابتلى به في دين الله تعالى وهو النظر في الكواكب والقمر والشمس ومناظرة عبدة الأوثان، ثم الانقياد لأحكام الله تعالى في ذبح الولد والإلقاء في النار وهذا يوجب على هؤلاء اليهود والنصارى والمشركين الذين يعترفون

بفضله أن يتشبهوا به في ذلك ويسلكوا طريقته في ترك الحسد والحمية وكرهه الانقياد لمحمد ﷺ، فهذه الوجوه - وغيرها - التي لأجلها ذكر الله ﷻ قصة إبراهيم عليه السلام.

وما ذكر عن إبراهيم عليه السلام أمور يرجع بعضها إلى الأمور الشاقة التي كلفه بها ، وبعضها يرجع إلى التشريفات العظيمة التي خصه الله بها<sup>(١)</sup>.

### سورة إبراهيم:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۗ ﴾ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَّنَا كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِ فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَصْبَحْتُ بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمَ مَا نُحْفِي وَمَا نُعَلِّمُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾

بعد أن ذكر الله سبحانه وتعالى كثيراً من النعم ، وبَيَّنَّ أنَّ نعمه لا تحصى، وأنَّ الإنسان ظلوم كفار بقوله: ﴿ وَءَاتَيْنَاكُمْ مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ إبراهيم: ٣٤،

(١) التفسير الكبير، الرازي: ٤/٣٣-٣٤، الباب في علوم الكتاب، ابن عادل

وذكر الله تعالى بالأدلة الحسية والسمعية انفراده بالألوهية وأن لا معبود إلا هو، ذكر هنا أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام في حصانته للتوحيد ومبالغته في هدم الشرك والأوثان، ثم ذكر موقف الظالمين يوم الدين وما يعتر بهم من الذل والهوان في يوم الحشر الأكبر.

"والآيات التي تسبقها تشتمل على تعجيب من أمر كفار مكة، الذين بدلوا نعمة الله كفراً، وتذكر بآيات الله ودلائل قدرته ونعمه التي لا تحصى ومقابلة الناس لهم بالكفران والجحود؛ وتأتي عقبها هذه الآيات من قصة إبراهيم لتذكر هؤلاء بأبيهم إبراهيم الذي استقام على أمر الله تعالى، وأنكر عبادة الأوثان، وأعلن شكره وحمده وضراعه لله تعالى على ما أولاه من نعم، وما حباه من كرم، وفي تذكيرهم بهذه المشاهد حث لهم على الاقتداء بأبيهم الذي يفخرون بالانتساب إليه، ودعوة لهم إلى اتباع الرسول ﷺ، وشكر الله تعالى على النعم التي وهبها لهم وأولاهم إياها؛ ومنها نعمة البيت الحرام الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً، ورزقهم في رحابه من جميع الثمرات" <sup>(١)</sup>.

(١) التفسير الكبير، الرازي: ١٩/١٣١



### المبحث الثالث

#### أغراض قصة إبراهيم عليه السلام في سورتي البقرة وإبراهيم

ليست القصة القرآنية عملاً يقتصر القصد به على السرد والرواية؛ وغرضه المؤانسة وتجديد النشاط؛ وما يحصل من استغراب مبلغ تلك الحوادث من خير أو شر؛ بل هي وسيلة إلى تحقيق أغراض دينية وفوائد جمّة، ولذلك نرى القرآن يأخذ من كل قصة أشرف مواضعها، فيسوقها في مظان الاتعاظ والاعتبار بها؛ وما توافر فيها من الفوائد<sup>(١)</sup>.

#### أولاً: من أغراض سورة البقرة:

جاء في سورة البقرة اختبار إبراهيم عليه السلام، وخصائص البيت الحرام، وفضائل مكة<sup>(٢)</sup>.

وَبَيَّنَ بهذه المناسبة فضائل المسجد الحرام، وبانيه، ودعوته لذريته بالهدى، والاحتراز عن إجابتها في الذين كفروا منهم، وأنَّ الإسلام على أساس ملة إبراهيم وهو التوحيد، وأنَّ اليهودية والنصرانية ليستا ملة إبراهيم، وأنَّ من ذلك الرجوع إلى استقبال الكعبة ادَّخره الله للمسلمين آية على أنَّ الإسلام قائم على أساس الحنيفية، وذكر شعائر الله بمكة، وإبكات أهل الكتاب في

(١) قال أبو عبيد: "إن القصص التي قصها الله عن الأمم الماضية وما عاقبها به ظاهرها الإخبار بهلاك الأولين؛ إنما هو حديث حدث به عن قوم، وباطنها وعظ الآخرين وتحذيرهم أن يفعلوا كفعالهم، فيحل بهم مثل ما حل بهم" الإتقان في علوم القرآن،

السيوطي: ١٩٦/٤

(٢) التفسير المنير، وهبة الزحيلي: ٣٠١/١

طعنهم على تحويل القبلة<sup>(١)</sup>.

ففي معظمها تدور حول تعداد أمور جليلة كلف بها إبراهيم عليه السلام أو قام بها إثر التكليف، تعلقو نبرة التذكير بهذه الأعمال عن طريق "إذ" الذي فيها تذكير بالوقت وما حدث فيه فبداية الآية الأولى ﴿وَإِذْ أُنزِلَتْ﴾ البقرة: ١٢٤، والثانية ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا﴾ البقرة: ١٢٥، والثالثة ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ البقرة: ١٢٦، والرابعة ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ﴾ البقرة: ١٢٧. ويأتي الدعاء فتعلقو نبرة الخشوع والخضوع، ثم تعود نبرة التذكير وإن كانت أخف من السابق ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ﴾ البقرة: ١٣١، ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي﴾ البقرة: ١٣٣<sup>(٢)</sup>.

ثانياً: من أغراض سورة إبراهيم :

تظهر نبرة الدعاء في سورة إبراهيم ؛ وتعلقوها نبرة الخشوع والخضوع والتضرع لله رب العالمين، فتبدأ كل آية فيها بنداء الرب تعالى، فالآية الأولى بعد البداية المذكورة بالوقائع ينادي إبراهيم ربه: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ إبراهيم: ٣٥، ويستمر في ترديد هذا النداء الخاشع المستجلب للإجابة إلى آخر الحلقة<sup>(٣)</sup>.

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ٢٠٥ / ١

(٢) خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام: ٤٢٤

(٣) المرجع السابق

وفي هذه السورة إشارة صريحة إلى تناول موضوع الأصنام ، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلَلَنِي كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ إبراهيم: ٣٥ - ٣٦ (١).

والقصة في سورة إبراهيم هي الحلقة الأولى من الحلقات التي تتصل بالبيت الحرام ودعاء إبراهيم فيه حسب ترتيب النزول، وهي تحكي آيات هذه الحلقة - كما ذكرت - جملة من دعاء إبراهيم عليه السلام، ولعل "ما حكى عنه عليه السلام من الأدعية والأذكار وما يتعلق بها ليس بصادر عنه على الترتيب المحكي، ولا على وجه المعية؛ بل صدر عنه في أزمنة متفرقة حكى مرتبا للدلالة على سوء حال الكفرة بعد ظهور أمره في الملة، وإرشاد الناس إليها، والتضرع إلى الله تعالى لمصالحهم الدينية والدنيوية" (٢).

وفيه تذكير للفريقين بحال إبراهيم عليه السلام ليعلم الفريقان من هو سالك سبيل إبراهيم عليه السلام ومن هو ناكب عنه من ساكني البلد الحرام، وتحذيرهم من كفران النعمة، وإنذارهم أن يحل بهم ما حل بالذين ظلموا من قبل، وتثبيت للنبي ﷺ (٣).

وإن كان بعضهم حاول ترتيب الأحداث والوقائع كما فعل أبو السعود، فقد حاول أن يرتب هذه الحوادث المحكية بناء على الظاهر، وَيُبَيِّنَ

(١) الجانب الفني في قصص القرآن، عمر باحاذق: ٣٦. بتصرف

(٢) إرشاد العقل السليم، محمد أبو السعود: ٥٤/٥

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ١٧٩/٧. بتصرف يسير

سِرَّ الترتيب الذي وردت عليه في القرآن الكريم، فقال: واعلم أنَّ الظاهر ما جرى من الأمور المحكية هو الابتلاء وما يتبعه، ثم دعاء البلدية والأمن، وما يتعلق به، ثم رفع قواعد البيت وما يتلوه، ثم جعله مثابة للناس، والأمر بتطهيره . ولعل تغيير الترتيب الوقوعي في الحكاية، لنظم الشؤون الصادرة عن جنابه تعالى في سلك مستقل، ونظم الأمور الواقعة من جهة إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - من الأفعال والأقوال في سلك آخر. وأما قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ﴾ البقرة: ١٢١ إلخ؛ فإنها وقع في تضاعيف الأحوال المتعلقة بإبراهيم لاقتضاء المقام، واستيجاب ما سبق من الكلام ذلك، بحيث لم يكن بد منه أصلاً، كما أن وقوع قوله المتكبر ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ البقرة: ١٢٤، في خلال كلامه سبحانه لذلك<sup>(١)</sup>.

(١) إرشاد العقل السليم، محمد أبو السعود: ١/١٦١

## المبحث الرابع

### أوجه الاتفاق الموضوعية والأسلوبية في سورتي البقرة وإبراهيم

إن الله ﷻ ساق كل قصة، وما تكرر منها، آخذاً بأشرف مواضعها؛ فلا يؤثر تفرقها بين السور؛ فكل قصة في القرآن الكريم يراعى فيها المناسبة الموضوعية التي تحدد القدر الذي يعرض من القصة في كل موضع، كما تحدد طريقة العرض وخصائص الأداء، في الأسلوب الذي صيغت فيه، ومن ذلك ما جاء في الموضعين -هنا- من قصة إبراهيم ﷺ:

#### ١. الحوار بين الله ﷻ وإبراهيم ﷺ:

افتتحت القصة في السورتين بـ"إذ" الظرفية، المنصوب على المفعولية لفعل محذوف تقديره: اذكر<sup>(١)</sup>.

ففي ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ﴾ البقرة: ١٢٤، حيث فصل بين قال وما قبلها؛ لأنها جاءت عن سؤال مقدر. والخطاب موجه إلى النبي ﷺ حيث أنزل القرآن عليه، فإبراهيم ﷺ هو القدوة، سواء لأمة محمد ﷺ كما في سورة إبراهيم، أم لأهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين يدعون اقتداءهم بإبراهيم ﷺ كما في سورة البقرة.

كلا الحوارين جاء بتكرار لفظ الربوبية "رب"، وفي إثارة الرب المشعر بتربيته والعناية به، مع إضافته إلى ضميره إيذاناً بإجابة دعائه وتحقيق

(١) المرجع السابق: ٧٩/١

رجائه<sup>(١)</sup>. والإشارة إلى أن كل دعوة من هذه الدعوات مقصود بالذات، ومستقلة في مضمونها عن الدعوات الأخرى، وأنَّ الدعاء من لوازم الربوبية لذا يشمل المسلم والكافر. "وكل النداءات السابقة جاءت بلفظ "رب" أو "ربنا" حسب المقامات الواردة فيها، لما في ذلك من استجلاب للإجابة بما يتضمنه اللفظ من دلالة على أنَّ المدعو عَبْدُكَ وهو مربيه، ومتولي أمره، ورحيم به، ولن يردَّ دعاءه، أو يرجعه صفر اليدين"<sup>(٢)</sup>.

تنوعت الجمل في القصتين بين الجمل الخبرية والجمل الإنشائية، ومنها: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ البقرة: ١٢٤، ﴿وَإِذْ رَفَعْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ البقرة: ١٢٧ ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضَلَّلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ إبراهيم: ٣٦، ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ إبراهيم: ٣٧.

ومن الجمل الإنشائية: ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ البقرة: ١٢٦، ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ إبراهيم: ٣٥ ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ إبراهيم: ٤١، ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ البقرة: ١٢٥ ففي الآية الأخيرة جاءت على قراءة الأمر بكسر- الخاء عند ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي، وقرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء؛ على أنه فعل ماضٍ معطوف على جعلنا فيكون خبراً<sup>(٣)</sup><sup>(٤)</sup>.

(١) خصائص النظم القرآن في قصة إبراهيم عليه السلام، الشحات محمد: ٣٤٥

(٢) المرجع السابق: ٥٦٨.

(٣) كتاب السبعة في القراءات، أحمد ابن مجاهد: ١٧٠، الحجة في القراءات السبع، الحسين بن

خالوية: ٨٧

(٤) أضواء البيان، محمد الشنقيطي: ٤/٤١٠.

وفي قراءة الأمر استحضارا لصورة المأمورين حاضرين والأمر يوجه إليهم، فهو تصوير للماضي بصورة الحاضر؛ ليقع في نفس المخاطبين بالقرآن أن الأمر يتناولهم، وأنه موجه إليهم كما وجه إلى سلفهم في عهد أبيهم إبراهيم<sup>(١)</sup>. فجملة ﴿وَأَتَّخِذُوا﴾ البقرة: ١٢٥، إنشائية لفظا خبرية في المعنى<sup>(٢)</sup>.

## ٢. دعاء إبراهيم عليه السلام:

اتفق أسلوبا السورتين في الدعاء من خلال: حذف ياء النداء من "رب" وفي حذف النداء إشعار بقرب إبراهيم عليه السلام من ربه. كما حذف ياء المتكلم في "ربي" تخفيفاً. وفي الدعاء جاء لفظ "الجعل" في عدة مواضع: ﴿أَجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ إبراهيم: ٣٥، وقوله: ﴿وَأَجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ البقرة: ١٢٨، وفي سورة إبراهيم ﴿أَجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ إبراهيم: ٣٥، وقوله: ﴿فَأَجْعَلْ أَقْصَدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوَىٰ إِلَيْهِمْ﴾ إبراهيم: ٣٧، وقوله: ﴿أَجْعَلْنِي مَقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ إبراهيم: ٤٠<sup>(٣)</sup>.

والنعم التي سأها إبراهيم في هذه الآيات يظهر فيها معنى التحويل من حال إلى حال، والتصيير من شيء إلى شيء، ومن ثم ناسبها لفظ الجعل

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا: ١/٣٧٩.

(٢) مفتاح العلوم، يوسف السكاكي: ٢٦٠.

(٣) خصائص النظم القرآني في قصص إبراهيم عليه السلام، الشحات محمد: ٥٦١

لما يشعر به من تحويل و تصيير.

وقد جاء من دعائه في موضعين بلفظ التقبل، فقال في البقرة: ﴿رَبَّنَا  
تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ البقرة: ١٢٧، وفي إبراهيم قال: ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾  
إبراهيم: ٤٠. والتقبل يشعر بما لا يُشعر به غيره من الاستجابة ونحوه،  
حيث يشير إلى أن الدعاء عمل جليل مقدم من العبد إلى ربه، وهو يرجو  
منه أن يقبله.

وقد استهل دعاءه بأمرين لهما شأن عظيم في حياة الناس، أولهما:  
الأمن والطمأنينة، وثانيهما: العقيدة الصحيحة.

### ٣. تذييل الآيات باسمين من أسماء الله ﷻ يناسب مضمون الآية:

ختمت الآية في سورة البقرة بقوله تعالى: ﴿وَبُ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ  
الرَّحِيمُ﴾ البقرة: ١٢٨، "التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" من صيغ المبالغة، على وزن فعَّال  
وفعل "١". وفي سورة إبراهيم، قال تعالى: ﴿فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ إبراهيم:  
٣٦، "تأدب في مقام الدعاء ونفع للعصاة من الناس بقدر ما يستطيعه.  
والمعنى: ومن عصاني أفوض أمره إلى رحمتك وغفرانك. وليس المقصود  
الدعاء بالمغفرة لمن عصى. وهذا من غلبة الحلم على إبراهيم عليه السلام" (٢)،  
﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٣٨) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي  
عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ إبراهيم: ٣٨-٣٩،

(١) التفسير المنير، وهبة الزحيلي: ١/٣١٦.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ١٢/٢٦٢.



وقال: ﴿ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ إبراهيم: ٣٩، "تعليل لجملة ﴿ وَهَبَ ﴾ إبراهيم: ٣٩ ، أي وهب ذلك لأنه سميع الدعاء. والسميع مستعمل في إجابة المطلوب كناية، وصيغ بمثال المبالغة أو الصفة المشبهة ليدل على كثرة ذلك وأن ذلك شأنه، فيفيد أنه وصف ذاتي لله تعالى" (١).

#### ٤ . الحديث عن البلد الأمين:

جاءت كلمة "بلداً" بصيغة التنكير في سورة البقرة ، "واسم الإشارة في قوله: ﴿ هَذَا بَلَدًا ﴾ مراد به الموضع القائم به إبراهيم حين دعائه، وهو المكان الذي جعل به امرأته وابنه وعزم على بناء الكعبة فيه إن كان الدعاء قبل البناء، أو الذي بني فيه الكعبة إن كان الدعاء بعد البناء، فإن الاستحضار بالذات مُغْنٍ عن الإشارة الحسية باليد؛ لأن تمييزه عند المخاطب مُغْنٍ عن الإشارة إليه؛ فإطلاق اسم الإشارة حينئذ واضح...، وقد عدل هنا عن بيان المشار إليه اكتفاء عنه بما هو واقع عند الدعاء؛ فإن إبراهيم دعا دعوته وهو في الموضع الذي بني فيه الكعبة؛ لأن الغرض ليس تفصيل حالة الدعاء؛ إنما هو بيان استجابة دعائه وفضيلة محل الدعوة، وجعل مكة بلداً آمناً ورزق أهله من الثمرات، وتلك عادة القرآن في الإعراض عما لا تعلق به بالمقصود، ألا ترى أنه لما جعل البلد مفعولاً ثانياً استغنى عن بيان اسم الإشارة، وفي سورة إبراهيم لما جعل ﴿ءَامِنًا﴾ مفعولاً ثانياً بيّن اسم الإشارة بلفظ البلد، فحصل من الآيتين أن

(١) المصدر السابق: ١٢/ ٢٦٥.

إبراهيم دعا لبلد بأن يكون آمناً. اجعل هذا المكان بلداً آمناً ، أي قرية آمنة  
فيكون دعاء بأن يصير قرية، وأن تكون آمنة.

وإن كان المشار إليه في وقت دعائه قرية بنى أناس حولها ونزلوا  
حذوها، وهو الأظهر الذي يشعر به كلام الكشاف<sup>(١)</sup> هنا، وفي سورة  
إبراهيم كان دعاء للبلد بحصول الأمن له وأما حكاية دعوته في سورة  
إبراهيم بقوله: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾ فتلك دعوة له بعد أن صار  
بلداً<sup>(٢)</sup>.

وذكر في موضوع آخر الفرق بين تنكير "بلداً" في سورة البقرة،  
وتعريف "البلد" في سورة إبراهيم فقيل: "في قوله تعالى: ﴿ الْبَلَدَ آمِنًا ﴾،  
وقوله في سورة إبراهيم: ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾ ما يشعر بأن بين  
«البلد» و«بلداً» فرقا، وهذا ما يحدث عنه التاريخ ، من أن إبراهيم كانت  
له عودة إلى البلد الحرام بعد أن ترك إسماعيل وأمه فيها ، فحين تركها لأول  
مرة كانت غير معمورة، فهي «بلد» لم يكتمل بعد، فلما عاد إليها بعد مدة

(١) قال الزمخشري: "أي اجعل هذا البلد أو هذا المكان "بلداً آمناً" ذا أمن كقوله (عيشة  
راضية) ، أو آمناً من فيه كقوله: ليل نائم". الكشاف: ١/ ١٢١. وهو ما بينه بقوله "فإن  
قلت: أي فرق بين قوله: (اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا) وبين قوله: (اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا) ؟  
قلت: قد سأل في الأول أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها ولا يخافون، وفي  
الثاني أن يخرج من صفة كان عليها من الخوف إلى ضدها من الأمن، كأنه قال: هو بلد  
مخوف، فاجعله آمناً) تفسير الكشاف: ٢/ ٥٢٣

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ١/ ٧١٣-٧١٤

كانت قد أخذت تعمر فهي « البلد »<sup>(١)</sup>.

وجاء في ملاك التأويل ما يسند القول السابق، إذ يقول: " قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ البقرة: ١٢٦، وفي سورة إبراهيم: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ إبراهيم: ٣٥، فنكّر في سورة البقرة وعرف في سورة إبراهيم بأداة العهد فيسأل عن ذلك. ووجهه والله أعلم أن اسم الإشارة الذي هو " هذا " في سورة البقرة لم يقصد تبعيته اكتفاء بالواقع قبله من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ البقرة: ١٢٥، وتعريف البيت حاصل منه تعريف البلد؛ لا سيما بما تقدم من قول إبراهيم عند نزوله بولده بحرم الله ودعائه أولاً بقوله: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ إبراهيم: ٣٧، فتعريف البيت تعريف للبلد، فورد اسم الإشارة غير مفتقر إلى التابع المبين جنسه؛ كالجاري في أسماء الإشارة اكتفاء بما تقدمه مما يحصل منه مقصود البيان، فانصب بلداً مفعولاً ثانياً، وآمناً نعتاً له، واسم الإشارة مفعولاً أولاً غير محتاج إلى تابع لقيام ما تقدم مقامه، ولو تعرّف لفظ بلد بالألف واللام وجرى على اسم الإشارة لم يكن ليحرز بياناً زائداً على ما تحصل مما تقدم؛ بل كان يكون كالتكرار.

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب: ١/ ١٣٥.

فورد الكلام على ما هو أحرز للإيجاز وأبلغ في المقصود مع حصول ما كانت التبعية تعطيه فجاء على ما يجب. وأمّا سورة إبراهيم فلم يتقدم فيها ما يقوم لاسم الإشارة مقام التابع المعرف بجنس ما يشار إليه، فلم يكن بد من إجراء البلد عليه تابعاً له بالألف واللام على المعهود الجاري في أسماء الإشارة من تعيين جنس المشار إليه باسم جامد في الغالب عطف بيان على قول الخليل، أو نعتاً على الظاهر من كلام سيوييه، وانتصب اسم الإشارة المتبع على أنه مفعول أول و "أمناً" على أنه مفعول ثان ولم يكن عكس الوارد ليحسن ولا ليناسب، وقيل في الوارد في سورة البقرة أنه أشار إليه قبل استقراره ﴿بَلَدًا﴾ فأراد جعل هذا الموضع أو هذا المكان بلداً أمناً واكتفى عن ذكر الموضع بالإشارة إليه<sup>(١)</sup>.

وأضاف الخطيب الإسكافي<sup>(٢)</sup>: "والجواب الثاني: أن تكون الدعوتان واقعتين بعد ما صار المكان بلداً، وإنما طلب من الله تعالى أن يجعله أمناً...، فيجوز أن يكون المراد: اجعل هذا البلد بلداً أمناً، فيدعو له بالأمن بعد ما قد صار بلداً على ما مثلت، ويكون مثل قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾، وتكون الدعوة واحدة قد أخبر الله تعالى عنها في الموضعين". وهذا من المتشابه اللفظي بين كلمتي "بلداً" و "البلد" ما يشبهه

(١) ملاك التأويل، أحمد ابن الزبير: ١/ ٢٣٥، وينظر: التحرير والتنوير، الطاهر ابن

عاشور: ١/ ٦٩٤، وحاشية القونوي على تفسير البيضاوي، إسماعيل محمد: ٤/ ٢٢٥.

(٢) درة التنزيل وغرة التأويل، محمد الأصبهاني: ١/ ٢٨٤-٢٨٥.

بالتعريف والتنكير<sup>(١)</sup>.

## ٥. الحديث عن البيت الحرام:

في سورة إبراهيم قال تعالى: ﴿عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ إبراهيم: ٣٧ ،  
وسمي البيت الحرام بيتاً ولم يكن له بناء وقت الدعاء من قبيل المجاز  
المرسل؛ باعتبار ما كان عليه من قبل؛ فإن تعدد بناء الكعبة المعظمة مما لا  
ريب فيه، أو باعتبار ما سيؤول إليه الأمر من بنائه ﷺ، واختار أبو السعود  
التوجيه الأول<sup>(٢)</sup>.

والقولان مبنيان على أن دعاء إبراهيم ﷺ كان وقت إسكانه  
إسماعيل وأمه هاجر بهذا الوادي قبل بنائه البيت.  
ويرى ابن عاشور: " أن هذا الدعاء صدر بعد زمان من بناء الكعبة  
وتقري مكة"<sup>(٣)</sup>.

وفي سورة البقرة قال تعالى: ﴿أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي﴾ البقرة: ١٢٥، المقصود  
به: البيت الحرام.

وفي قوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ البقرة:  
١٢٧، ذكر في هذه الآية رفع إبراهيم وإسماعيل لقواعد البيت، وبين في  
سورة الحج "أنه أراه موضعه بقوله: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾

(١) البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات من خلال كتاب "ملاك التأويل"، إبراهيم

الزيد: ٣٥ / ١

(٢) إرشاد العقل السليم، محمد أبو السعود: ٥٢ / ٥

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ٢٦٣ / ١٢

الحج: ٢٦، أي: عَيْنًا لَهُ مَحَلَّهُ وَعَرَفْنَاهُ بِهِ. وقد عُرِفَت الكعبة باسم البيت من عهد الجاهلية، والمقصود بالبيت هنا: الكعبة وَعُرِفَت بالبيت تغليياً<sup>(١)</sup>.

٦. طلب إبراهيم عليه السلام من الله عز وجل أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام وأن يكونوا مسلمين:

لما كان نزول سورة إبراهيم مكية، ومن خصائص السورة المكية تقرير الألوهية ونبذ عبادة غير الله عز وجل، جاء السياق صريحاً بطلب إبراهيم باجتنب الأصنام وتوحيد العبادة لله<sup>(٢)</sup>، فقال: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ إبراهيم: ٣٥، والمراد بالدعاء بالنسبة لإبراهيم عليه السلام طلب الثبات والدوام على التوحيد ودين الإسلام والبعد عن عبادة الأصنام، والمراد بينه أبناء صلبه، وقيل المراد: جميع نسله. فاستجيب له في البعض<sup>(٣)</sup>. وجاء في سورة البقرة: ﴿أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ البقرة: ١٢٥، والمراد بتطهير البيت: تنظيفه من ما لا يليق به من الأوثان الحسية والمعنوية، والإضافة في "بيتي" للتشريف والتكريم، وفي الأسلوب إيضاح بعد إبهام، وتفسير بعد إجمال، وهو من ألوان الإطناب، وفيه تشويق للنفس وإثارتها للوقوف على تفسير العهد<sup>(٤)</sup>.

(١) المرجع السابق: ١/ ٦٨١

(٢) الجانب الفني في قصص القرآن، عمر باحاذق: ٦٦.

(٣) روح المعاني، محمود الألوسي: ٧/ ٢٣٤، ١٣، التحرير والتنوير، الطاهر ابن

عاشور: ١٣/ ٢٣٨

(٤) فتح القدير، محمد الشوكاني: ١/ ٢١٥، نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، محمد

## ٧. طلب إبراهيم عليه السلام الرزق لأهله:

وقد جاء الدعاء بطلب الرزق في سورة إبراهيم بعد أن دعا ربه أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام، وذكر إبراهيم عليه السلام أنه أسكن ذريته بوادي غير ذي زرع عند البيت المحرم الذي لم ترفع قواعده بعد، ثم دعا بعد تحقيق الألوهية أن يقيموا الصلاة وسأل ربه أن يجعل أفئدة من الناس تهوي لهذا البيت، تهوي : فيه استعارة؛ لأنَّ حقيقة الهويّ النزول من علو إلى انخفاض، كالهبوط، والمراد : تُسرِّعُ إليهم شوقاً وحباً من مكان بعيد ، بعكس " تحنّ " فهو قد يكون من المقيم بالمكان.

ثم سأل الله أن يرزقهم من هذه الثمرات، وذكر إبراهيم لذلك مع علم الله الواسع الذي لا تخفى عليه خافية؛ إنما هو من باب التذلل والالتجاء لله عز وجل.

في حين أنه في سورة البقرة سأل الله أن يجعل هذا بلداً آمناً وعقب هذا السؤال بطلب الرزق من الثمرات لأهله، وخصَّ من آمن منهم بالله واليوم الآخر؛ لأنَّهم في هذا الموضع وكون السورة مدنية قد رسخ التوحيد ووضح، استجاب الله دعا إبراهيم عليه السلام في سورة إبراهيم قَدَّم الدعاء برزق أهله من الثمرات.

واللام في الثمرات : للاستغراق العرفي، أي من جميع الثمرات

---

القنوجي: ٢٢ / ١. قال ابن الأنباري: تفسير العهد في اللغة: تقدمه أمر يُعلم ويحفظ من قولك: عهدت فلانا في المكان، أي: عرفته، وشهدته. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن ابن الجوزي: ٢٩٢ / ٤

المعروفة للناس<sup>(١)</sup>.

وفي كلا الموضعين أتى بلفظ الرزق؛ وطلب ما يختص بالطعام والتفكه ونحو ذلك يناسبه لفظ "الرزق" حيث يدل على عطاء لوقت، ثم حمل عليه غير الموقوت<sup>(٢)</sup>.

وفي سورة البقرة حَصَّ إبراهيم المؤمنين بدعائه فقال: ﴿مَنْ أَمَّنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ البقرة: ١٢٦، وفي تخصيصهم بالدعاء: إظهار لشرف الإيمان، وإبانة لخطره، واهتمام بشأن أهله...، وفي حكايته ترغيب وترهيب لقريش وغيرهم لكي يؤمنوا وينالوا رزق الله<sup>(٣)</sup>.

وقالوا إنما حَصَّ إبراهيم عليه السلام دعاءه بالمؤمنين؛ لأنه لما قال له الله عز وجل ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ البقرة: ١٢٤، احترز من الدعاء لمن ليس مرضياً عند الله عز وجل، فقيّد دعاءه بالمؤمنين؛ ولكن الله تعالى أرشده إلى كرمه الشامل ﴿قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ البقرة: ١٢٦، وفصل هذا عما قبله للاستئناف المبني على سؤال مقدر، كأنه قيل: فلماذا قال له ربه عز وجل حين طلب ذلك؟ فقيل: قال ومن كفر...<sup>(٤)</sup>.

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ٧١٥/١

(٢) مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس: مادة "رزق" ٣٦٢/١.

(٣) إرشاد العقل السليم، محمد أبو السعود: ١٥٩/١

(٤) حاشية الشهاب، أحمد الخفاجي: ٢٣٧/٢



## ٨. الحديث عن الصلاة :

جاء الحديث عن الصلاة في سورة إبراهيم صريحاً مرة في كونه علة وسبباً لإسكان إبراهيم عليه السلام من ذريته بواد غير ذي زرع؛ حيث قال: ﴿لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ إبراهيم: ٣٧، واللام في لقيموا "لام كي"، والأخرى في طلب إبراهيم عليه السلام من الله عز وجل أن يجعله مقيم الصلاة، فقال: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ إبراهيم: ٤٠، و﴿مُقِيمَ الصَّلَاةِ﴾ أي: مثابراً عليها، مستمراً في إقامتها، أو معدلاً لها، فيكون مجازاً، من أقمت العود إذا قومته وعدلته<sup>(١)</sup>.

وتخصص الصلاة بالذكر في سورة إبراهيم من بين شعائر الدين لفضلها، وتكررها مع الأوقات؛ ولأنَّ السورة مكية فلم يُقرَّ كثير من الشرائع فارتكز على الصلاة؛ بخلاف سورة البقرة؛ فإنه قال: ﴿وَأَرْنَا مَنَاسِكَنَا﴾ البقرة: ١٢٨؛ لأنَّ السورة مدنية وقد شرع غيرها.

أمَّا في سورة البقرة فجاءت إشارات دالة لاستجابة الله عز وجل لدعاء إبراهيم عليه السلام حيث كرم إبراهيم عليه السلام وشرفه وَبَيَّنَّ علو منزلته بالصلاة خلف مقامه، فقال: ﴿وَأَتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّئًا﴾ البقرة: ١٢٥، وقد سبق الحديث عنه.

وكذا في أمر إبراهيم عليه السلام بتطهير البيت للمصلين لتهيئة البقعة للصلاة فيها؛ حيث قال ﴿أَنْ طَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾

(١) روح المعاني، محمود الألوسي: ٧/١٣، ٢٤٣

البقرة: ١٢٥ وقد ذكر من الصلاة الركوع والسجود وهو من إطلاق البعض وإرادة الكل.

وفي تقديم الطائفين على غيرهم في الآية لاختصاص البيت الحرام بالطواف، أمّا العكوف والقيام والركوع والسجود فأمور تؤدي في جميع المساجد وغير المساجد<sup>(١)</sup>.

وفي قوله: ﴿وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ البقرة: ١٢٥: "التفات من أمر إلى خبر، ليقوى من شأن الأمر، وليزيد في ظهوره"<sup>(٢)</sup>.

#### ٩. ثناء إبراهيم عليه السلام على ربه ﷻ بعلمه الشامل:

وقد أثنى إبراهيم عليه السلام على الله تعالى بوصفه بما يليق بذاته؛ من علمه التام لجميع المعلومات في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعَلَّمُ مَا تُخْفِي وَمَا تُعَلِّمُ وَمَا يُخْفَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ إبراهيم: ٣٨، إشارة إلى أنه ﷻ عليم بما ذكره إبراهيم من ضلال كثير من الناس وبمن اتبعه وبمن عصاه، وبذريته التي أسكنها عند البيت الحرام، وبمراده من إسكانهم في هذا المكان وفي هذا تعليم لأهله وأتباعه بعموم علم الله تعالى حتى يراقبوه في جميع الأحوال، ويخلصوا النية إليه<sup>(٣)</sup>.

(١) خصائص النظم القرآني في قصص إبراهيم عليه السلام، الشحات محمد: ٥٣٥

(٢) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب: ١/١٣٤.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ١٣/٢٤٣.

ومجىء الجملة في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ إبراهيم: ٣٨، على طريقة نفي الخفاء دون أن يقال: ويعلم ما في السموات والأرض، تحقيقاً لما عناه بقوله: ﴿تَعَلَّمْ مَا تُخْفَىٰ وَمَا تُعَلَّنُ﴾ إبراهيم: ٣٨، من أن علمه تعالى بذلك ليس على وجه يكون فيه شائبة خفاء بالنسبة إلى علمه تعالى، كما يكون ذلك بالنسبة إلى علوم المخلوقات<sup>(١)</sup>.

ولما في هذه الطريقة من تحقيق التناسق بين نظم هذه الجملة ونظم الجملة السابقة، حيث بنيت الجملة السابقة على إثبات علم الله ﷻ بما يخفون وما يعلنون، وبنيت هذه الجملة على نفي خفاء شيء عن علم الله تعالى.

فجملة ﴿وَمَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ تذييل يؤكد علم الله ﷻ بما يخفون وما يعلنون، بجانب ما أثبتته من علم الله تعالى بكل شيء في الكون، وهو تذييل جارٍ مجرى المثل لاستقلاله في الإفادة<sup>(٢)</sup>.

وفي هذه الآية قَدَمٌ ﴿مَا تُخْفَىٰ﴾ على ﴿وَمَا تُعَلَّنُ﴾ لتحقيق المساواة بينهما في تعلق العلم بهما على أبلغ وجه، فكأنَّ تعلقه بما يخفى أقدم منه بما يعلن؛ ولأنَّ مرتبة السر والخفاء متقدمة على مرتبة العلم<sup>(٣)</sup>.

وفي عدم تقييد الفعلين ﴿تُخْفَىٰ﴾ و ﴿تُعَلَّنُ﴾ بمتعلق معين إفادة للعموم والشمول<sup>(٤)</sup>.

(١) إرشاد العقل السليم، محمد أبو السعود: ٥٣/٥. بتصرف

(٢) خصائص النظم القرآني في قصص إبراهيم ﷺ، الشحات محمد: ٥٩٥.

(٣) إرشاد العقل السليم، محمد أبو السعود: ٥٣/٥

(٤) روح المعاني، محمود الألوسي: ٧/١٣، ٢٤١

وقد تقدم ذكر الأرض على السماء - حيث إنَّه خلاف المعتاد - في قوله تعالى: ﴿وَمَا نُعَلِّمُ وَمَا يُخْفَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ إبراهيم: ٣٨، ويذكر ابن الزبير الغرناطي سبب تقديم الأرض على السماء، قائلاً: "فناسب هذا تقديم ذكر الأرض على السماء؛ لأنَّ السماء مصعد الأمر ومحل العلو ومسكن الملائكة وهي مشاهدة لهم...، فكان العلم بما فيها أجلى وأظهر وكان العلم بما في الأرض أخفى، وهذا بالنظر إلينا، وبحسب متعارف أحوالنا...، فلمَّا كانت الأرض بالنسبة إلى السماء فيما ذكرنا كان أمرها أخفى، وكان أمر السماء أوضح وأقرب...، فخطب الخلق على ذلك، فقدم ذكر ما هو عندنا وكأنَّه أخفى، ف قيل عند قصد المبالغة في تأكيد الاستغراق والقسم عليه"<sup>(١)</sup>.

وأما في سورة البقرة فقد ذيل الدعاء في قوله تعالى ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ البقرة: ١٢٧، أي السميع لجميع المسموعات التي من جملتها دعاءنا، العليم بكل المعلومات التي من زمرتها نياتنا في جميع أعمالنا، والجملة تعليل لاستدعاء التقبل.

فهما يدعوان ربهما ويقدمان بين يدي دعائهما الثناء الجميل على الله تعالى بصفاته العلى وأسماؤه الحسنى، وهذا من دواعي قبول الدعاء. وتأكيد الجملة بـ "إنَّ" وضمير الفصل "أنت"، يدل على كمال يقينهما بما تضمنته من تخصيصه تعالى بصفتي السمع والعلم، وفي الجملة قصر

(١) ملاك التأويل، أحمد ابن الزبير: ٤٩٨/١

لهاتين الصفتين على الله تعالى عن طريق تعريف المسند باللام، وتؤكد هذا القصر بضمير الفصل "أنت".

وقد أفاد القصر إظهار اختصاص دعائها بالله ﷻ، وانقطاع رجائهما عما سواه بالكلية<sup>(١)</sup>.

والمبالغة في كمال الوصفين له تعالى بتنزيل سمع غيره وعلم غيره منزلة العدم، فكأنه هو المختص بهما دون غيره<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا فالقصر على سبيل المبالغة، ويجوز أن يكون قصرًا تحقيقيًا باعتبار متعلق خاص، أي السميع لدعائنا لا يسمعه غيرك العليم بنياتنا وأعمالنا لا يعلمها غيرك<sup>(٣)</sup>.

وفي مجيء صفتي السمع والعلم على صيغة "فعيل" مبالغة في إثبات كمال السمع وتمام العلم لله جل شأنه.

وتقديم صفة السمع مع تأخر التقبل عن العمل للمجاورة، ولإحاطة صفة العلم وشمولها لكل الموجودات من مسموعات ومرئيات وغير ذلك<sup>(٤)</sup>.

وفيه يظهر الفرق بين سورة إبراهيم في عرض صفة العلم لله ﷻ،

(١) إرشاد العقل السليم، محمد أبو السعود: ١٦١ / ٨

(٢) التفسير الكبير، الرازي: ٤٧٩ / ١، التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ٧١٩ / ١

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور: ٧١٩ / ١

(٤) إرشاد العقل السليم، محمد أبو السعود: ٣٤ / ٤، روح المعاني، محمود الألوسي: ٣٤ / ٣

وتأصيل ذلك في آية مستقلة؛ لكون السورة مكية، وبين عرضه في سورة البقرة؛ حيث رسخت العقيدة وتأصل في النفوس الإيمان بعلم الله ﷻ؛ لكون السورة مدنية.

#### ١٠. حرص إبراهيم عليه السلام على ذريته :

حرص إبراهيم على ذريته حرصاً شديداً؛ ومن صور حرصه عليهم اختصاصهم بالدعاء في سورتي البقرة وإبراهيم، ففي سورة البقرة لما سألا لنفسيهما دوام الإخلاص لله تعالى، طلبا لذريتهما الهداية إلى الإسلام ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةٌ لَّكَ ﴾ البقرة: ١٢٨. وسألا الله تعالى أن يبعث فيهم رسولا منهم فقالا: ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ البقرة: ١٢٩.

وأما في سورة إبراهيم فقد سأل إبراهيم عليه السلام الله تعالى أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام فقال: ﴿ وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ إبراهيم: ٣٥، وأن يقيموا الصلاة فقال: ﴿ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ إبراهيم: ٣٧، وقال: ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ﴾ إبراهيم: ٤٠، وأن يجعل أفئدة من الناس تُقبل إليهم فقال: ﴿ فَأَجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ إبراهيم: ٣٧، وكذا طلب الله أن يرزقهم من الثمرات فقال: ﴿ وَأَرْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ ﴾ إبراهيم: ٣٧، وأن يجعلهم مجابي الدعاء حيث شركهم في قوله ﴿ رَبَّنَا وَقَبَّلْ دُعَاءَ ﴾ إبراهيم: ٤٠.

وخصاً ذريتها بالدعاء؛ لأنها أحق بالشفقة والنصيحة؛ ولأن الأنبياء

إذا صلحوا صلح بهم غيرهم، وشايعوهم على الخير<sup>(١)</sup>.

## ١١. اشتراك المؤمن والكافر في الدنيا، والتفريق بينهما في الآخرة:

جاءت الشركة بين المؤمن والكافر صريحة؛ وإن اختلف اللفظ في حق كل منهما في سورة البقرة لكون السورة مدنية، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيُسَّرُ الْمَصِيرُ﴾ البقرة: ١٢٦، فكثرت الداخلون في الإسلام آنذاك، وفيها تجلت المعاني بوضوح، وعلت لهجة الوعيد، وكذا التفرقة فيما أعد الله ﷻ للمؤمن والكافر في السور المدنية، "فإن قلت: هلاً قيل: هي للذين آمنوا ولغيرهم؟ قلت: التنيه على أنها خلقت للذين آمنوا على طريق الأصالة، وأن الكفرة تبع لهم كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا﴾ البقرة: ١٢٦. وقال التبريزي: "ولم يذكر الشركة بينهم وبين الذين أشركوا في الدنيا تنيهاً أنه إنما خلقت للذين آمنوا بطريق الأصالة، والكفار تبع لهم، ولذلك خاطب المؤمنين بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ البقرة: ٢٩<sup>(٢)</sup>.

ثم بين الله ﷻ اختصاص نعيم الآخرة بالمؤمنين في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الأعراف: ٣٢، فقوله: ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي

(١) الكشاف، الزمخشري: ٣١١/١

(٢) الدر المصون في علم الكتاب المكنون، أحمد السمين الحلبي: ٢٧٣/٤

﴿ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾ ، أي: مشتركة بينهم في الحياة الدنيا، ﴿ خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ، أي: خاصة بهم دون الكفار يوم القيامة؛ إذ لا نصيب للكفار البتة في طيبات الآخرة.

وقد بيّن ﷻ في آيات من كتابه أن إنعامه على الكافرين ليس لكرامتهم عليه، ولكنه للاستدراج، كقوله تعالى: ﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ القلم: ٤٤. وَقَوْلِهِ ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ الأنعام: ٤٤.

وَقَوْلِهِ: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرًا لِنَفْسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزِدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ آل عمران: ١٧٨.

ودعوى الكفار أن الله ﷻ ما أعطاهم المال ونعيم الدنيا إلا لكرامتهم عليه واستحقاقهم لذلك، وأنه إن كان البعث حقاً أعطاهم خيراً منه في الآخرة، قد ردّها الله ﷻ عليهم في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿ أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُطْعِمُهُمْ بِهِنَّ مِنْ مَالِ وَبْنِنَ ﴿٥٥﴾ نَسَارِجُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ المؤمنون: ٥٥ - ٥٦. وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ سبأ: ٣٧، وغير ذلك من الآيات (١).

وفي سورة إبراهيم كان هذا الاختصاص للمؤمنين ضمناً؛ حيث جاء في سياق الآيات، ما ترتب عليه دعاء إبراهيم عليه السلام، من ابتداءه بالدعوة إلى

(١) أضواء البيان، محمد الشنقيطي: ١١٦/٧. بتصرف



التوحيد، ونبذ عبادة الأصنام، وأن الانتساب إلى إبراهيم عليه السلام هو من اتبعه في الملة، ومن عصاه فأمره إلى الله تعالى.  
ومن ثم ذكر العبادة، ونَصَّ على الصلاة؛ مقدمة لطلبه الرزق بالثمرات لهم، وعلل ذلك الإنعام بأن يكونوا شاكرين، وهذا الشكر والاعتراف بالامتنان إلى الله تعالى لا يكون إلا من المؤمنين.  
ولعل الله تعالى في هذا السياق أراد أن يرغبهم للدخول في دينه، ونبذ عبادة غيره، ويسند هذا دعوة إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ إبراهيم: ٣٦، لا سيما وأن السورة مكية، فاحتج إلى هذا الأسلوب لاستمالة القلوب واستجلابها. والله أعلم.



## الخاتمة

الحمد لله الباري على نعمه، وله الشناء الحسن أولاً وآخراً، بما تفضل وأجزل، فأحمده على أن أتم هذا البحث ووفق، وقد تبين لي أثناء فترة البحث نتائج؛ من أهمها ما يلي :

- أن القصة القرآنية مستمدة من حقائق ووقائع تاريخية؛ ليس منشأها الإسهاب في الخيال، كما ظنه البعض، ورد عليه بالأدلة.
- السمة الغالبة في القصص القرآني أنها إذا تعرضت لمعنى من المعاني في موضع ثم تحدثت عن القصة في موضع آخر؛ فإنها لا تذكر ذلك المعنى فحسب؛ بل تأتي بمعنى جديد لم يكن قد ذكر في القصة من قبل؛ بحيث لو تضامنت جميع الجزئيات في القصة في مختلف السورة لأعطتنا صورة متكاملة لجزئيات تفرقت في مواطنها، وفق مقتضى الحال.
- أن التكرار القصصي جاء لمقصد وأغراض متعددة، متضمناً حكماً وفوائداً، وليس مجرد سرد روائي، وأن كل سورة أعيدت فيها قصة فلمعنى ادعي في تلك السورة استدل عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سيقته له في السورة الأخرى، ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض، وتغيرت النظم بالتأخير والتقديم والإيجاز والتطويل مع مراعاة المعنى الأصلي للقصة.
- أظهر البحث بعض سمات الإعجاز في القصص القرآني؛ كسمة التناسب بأنواعه وخاصة تناسب موضع القصة في السورة

القرآنية؛ مع الوحدة الموضوعية للسورة. وسمة الترتيب في القصة القرآنية كالتقديم والتأخير، والزيادة والنقص.

- أن القرآن الكريم ليس كتاب تاريخ يقص الحوادث حسب تاريخ وقوعها، إنما هو كتاب هداية وتشريعات، وعبر وعظات، وليس بالضرورة أن تحكى الحوادث فيه وفق ترتيب وقوعها.

كما يوصي الباحث بدراسة النظم في القصة القرآنية؛ وإظهار خصائص القصة القرآنية؛ وبلاغة التشابه والتكرار؛ ومناسبة الاستدلال بها، مبرزاً الإعجاز البلاغي في استعراض القصص القرآني.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## فهرس المصادر والمراجع

- الإيتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ
- آداب المحاضرة والمناظرة، محمد الأمين الشنقيطي، شركة المدينة للطباعة والنشر، جدة.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان ، ١٤١٥ هـ .
- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، دار ابن كثير، دمشق، ١٤١٥هـ
- آيات التقوى في القرآن الكريم، حسين علي خليف الجبوري، بحث متعدد الأغراض في التقوى بمعانيها المختلفة كما وردت في القرآن الكريم.
- البحر الزخار، مسند البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو عبد الخالق البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم
- البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق

- محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، ١٣٩١هـ
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق محمد علي النجار وعبد العليم الطحاوي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤١٦هـ
  - البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات من خلال كتاب "ملاك التأويل" لابن الزبير الغرناطي، إبراهيم الزيد، دار كنوز إشبيلية، ١٣٣١هـ.
  - التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ.
  - تفسير البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الكتب، لبنان، ١٤٢٢هـ
  - تفسير البيضاوي أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق محمد صبحي حسن، دار الرشيد، ١٤٢١هـ، بيروت
  - تفسير السراج المنير، محمد بن أحمد الشربيني، دار الكتب العلمية، بيروت
  - تفسير القرآن الحكيم "تفسير المنار"، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م.
  - تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ
  - التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي
  - التفسير الكبير من القرآن الكريم، محمد بن عمر الشافعي المعروف

- بالفخر الرازي ، دار إحياء التراث العربي .
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر ، دمشق، ١٤١٨هـ
  - التفسير الوسيط، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٢هـ
  - جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ
  - الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق أحمد البردوني، دار الكتب المصرية
  - الجانب الفني في قصص القرآن، عمر محمد باحاذق، رسالة ماجستير نوقشت في الجامعة الإسلامية، دار المأمون للتراث.
  - حاشية الشَّهاب على تفسير البيضاوي، أحمد بن محمد الخفاجي المصري الحنفي، دار صادر، بيروت
  - حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، إسماعيل بن محمد الحنفي، تحقيق عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ
  - الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠١هـ
  - خصائص النظم القرآني في قصة إبراهيم عليه السلام ، الشحات محمد أبو ستيت، مطبعة الأمانة، مصر، ١٤١٢هـ
  - الدر المصون في علم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف الشهير بالسمين

- الحلبي، تحقيق أحمد محمد الخراط، دار القلم، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ
- درة التنزيل وغرة التأويل، محمد بن عبدالله الأصبهاني، تحقيق محمد آيدين، ١٤١٨هـ.
- دلائل النبوة، للبيهقي، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي الجوزي، المكتب الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ
- الزيادة والإحسان في علوم القرآن، محمد بن أحمد بن عقيلة المكي، مجموعة رسائل جامعية، جامعة الشارقة، ١٤٢٧هـ
- شرح مشكل الآثار، أحمد محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥هـ
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، علي بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام، ١٤١٩هـ
- الصحيح المسند من أسباب النزول، مقبل بن هادي الوادعي، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية - الطبعة الأولى ١٤١٥هـ



- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم بيروت، ١٤٠١هـ
- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، زكريا الأنصاري، تحقيق محمد علي الصابوني، الطبعة الأولى، بيروت دار القرآن الكريم، ١٤٠٣هـ
- فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ
- فقه اللغة العربية، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عمر الطباع، مكتبة المعارف
- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ
- قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح، أحمد موسى سالم، بيروت دار الجيل
- القصة القصيرة، الطاهر أحمد مكي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م
- كتاب السبعة في القراءات، أحمد بن موسى ابن مجاهد، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود ابن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي بن عادل الحنبلي، تحقيق عادل

- عبد الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى  
١٤١٩هـ
- لسان العرب، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مكتب تحقيق التراث في  
مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ
- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مؤسسة الرسالة، الطبعة  
السادسة والعشرون، ١٤١٥هـ
- المحصول في علم أصول الفقه، محمد بن عمر الرازي، تحقيق طه جابر  
العلواني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ
- المستدرک علی الصحیحین، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق  
مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ
- مسند أبي يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى التميمي، تحقيق حسين  
سليم أسد، دار الثقافة العربية، ١٤١٢هـ
- مسند الإمام أحمد، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق شعيب  
الأرنؤوط ورفاقه، مؤسسة الرسالة، ١٤١٦هـ
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، أحمد بن حجر العسقلاني،  
رسائل دكتوراه، مراجعة سعد ناصر الشثري وعبد الله التويجري، دار  
العاصمة بالرياض، ١٤١٩هـ
- معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق محمد النمر وعثمان  
جمعة وسليمان الحرش، دار طيبة، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ
- معجم مصطلحات أصول الفقه، مصطفى سانو، دار الفكر، بيروت

- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ
- المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وزملائه، الطبعة الثانية
  - مفتاح العلوم ، أبو يعقوب يوسف السكاكي تحقيق نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٩٠٣هـ.
  - مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس ،تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
  - ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، أحمد بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي، تحقيق سعيد جمعة الفلاح ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
  - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٣٢هـ
  - نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، محمد صديق حسن خان القنوجي، تحقيق محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م
  - الهداية إلى بلوغ النهاية، مكّي بن أبي طالب القيسي، مجموعة رسائل جامعية، نشر جامعة الشارقة- الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ